سلسلة الأديان السرية (١١)

الشبك

تأليف أ. سهيل قاشا

تقديم أ. جوزف قزي

دار لأجل المعرفة

ديار عقل ـ لبنان

٢٠١٦

الإهداء

إلى جميع طلاّب الحق والمعرفة

لسبر أغوار المعرفة

والسير في طريق الحق

أقدّم جهدي المتواضع

عربون المحبّة والأخوّة

في عراق الغد...

تقديم

معظم ما نطلق عليه إسم "أديان سرّيّة"، أو "مذاهب"، أو "شيع"... في هذا الشرق، مأخوذ قليلاً عن اليهوديّة، وكثيراً عن المسيحيّة وعن الإسلام، أو متأثّر بها جميعاً. ولا أخال إنساناً واحداً مسموح له أن يخرج عن اعتناق هذا الدين أو ذاك؛ يعني غير مسموح له أن يكون ملحداً، أو بلا دين أو بلا طائفة أو مذهب. وقصّة الخليفة المسلم، الذي مرّ بأناس في حرّان، وكانوا عبدة كواكب، وقد همّ بقتلهم وإبادتهم، لولا أن تداركوا أمرهم وأشهروا انتسابهم إلى "الصابئة"، الدين الذي يعترف به القرآن. أي إنّ إنساناً ملحداً ومن دون دين غير مقبول؛ بل يُقتل، هو وذرّيّته.

لهذا السبب تعمل سلسلة "الأديان السرّيّة" على كشف هذه الأديان السرّيّة والمذاهب الخفيّة والمستورة، وهي الدرزيّة، والنصيريّة، واليزيديّة، والصابئة، والشبك، والكاكائيّة، وغيرها؛ وذلك حتّى يطّلع العالم، في الشرق وفي الغرب، على تاريخ هذه المجموعات البشريّة ومعتقداتها الدينيّة السرّيّة وعاداتها الاجتماعية..

معظم هذه المجموعات تعيش في لبنان، والعراق، وسوريا.. ونحمل على عاتقنا مسؤوليّة الكشف عنها، لأنّنا نعيش معاً في مجتمعات مشتركة، نتقاسم سويّة لقمة العيش والمصير الواحد.

وليس كالأب سهيل قاشا، إبن العراق وربيب الاضطاد والنكبات والتهجير، من يستطيع أن يعرف وأن يقدّم لنا معلومات أكيدة عن هذه الأديان والمذاهب. وقد كتب لنا في هذه السلسلة سابقاً عن الصابئة واليزيديّة أو الإيزيديّة؛ كما كتبت أنا في السلسلة ذاتها كتيّبات عديدة في النصيريّة والدرزيّة.

وها نحن اليوم نتعرّف على ديانة "الشبك" وما يلحق بها من مذاهب وشيع. إنّها ديانة غريبة حقّاً عن عقلنا ومنطقنا وعاداتنا ومعتقداتنا وتاريخنا... لهذا سوف نخلق في ذهن القارئ حشريّة وفضولاً للبحث والاستزادة من معرفة كلّ غريب عجيب عن معتقداته الدينية وعاداته الاجتماعية.

وليس كالأب سهيل قاشا، الأستاذ في هذه المادّة، وفي الإسلاميّات واللاهوت المسيحي، من يستطيع أن يزوّدنا بمعرفة أكيدة عن هذه المذاهب والأديان، لأنّه يعيش بينهم، وله معهم أصدقاء.

مرّة أخرى نعلن عن هدفنا في الكشف عن سرّيّة هذه الأديان والمذاهب، وذلك لأننا نعيش معاً في مجتمع واحد، نودّ فيه معرفة بعضنا بعضاً لنتمكّن من العيش بسلام وأمان؛ إذ ليس كالمعرفة المتبادلة يستطيع أن يضمن العيش المشترك والسلام وبناء الأوطان.

جوزف قزّي

كلمة أولى

في الآونة الأخيرة بعد سقوط نظام صدام حسين (٩ نيسان ٢٠٠٣)، أثير وكتب الكثير عن الشبك وأولى الكثير من الباحثين دلوهم في بئر الدراسات، وتاهوا في انفاق الكتابات القديمة والحديثة، فأشتهيت أن أدلو بدلوي في هذا البئر، سيّما وأنا ابن المنطقة، وتربطني مع «الشبك» علاقات متينة، وصداقات صادقة. فجمعت الكثير من الآراء والأفكار، من الدراسات والكتابات المتناثرة في المجلاّت والجرائد، إضافة إلى بعض الكتب، بالرغم من قلّتها، قد خزّنته من السماعيات من ابناء (الشبك) المنتشرين في محافظة نينوى، حول مدينة الموصل، وبلدانها أمثال باخديدا (قرقوش) وبرطلي وكرمليس وبعشيقة وغيرها... فنحاول -وبكل تواضع- تسليط أشعّة: البحث العلمي على هؤلاء القوم، محاولة للوقوف على أرض البحث العلمي عن الحق والحقيقة.

والله وليّ التوفيق

الأحد، ٧ حزيران ٢٠١٥

برمانا

١ـ أصل الشبك

ينحدر الشبك من أصول كرديّة، تركمانيّة، فارسيّة[1]... ورغم ما طرح من الأراء الكثيرة المتباينة، وقدمت من التبريرات لتأييد وجهات نظر كتّابها وناشريها، الاّ انّها في الحقيقة لم تتّفق على تحديد أصل (الشبك) فنلمس عدّة اتّجاهات، منها:

١ـ ان الشبك، إحدى العشائر الكردية المتوطّنة في العراق من زمن لا تحدّه فترة معيّنة، وهذا الاحتمال ضعيف، فليس الشبك اكراداً، لأن لغّتهم تقوم دليلاً على هذا الزعم[2].

٢ـ ان الشبك من الأتراك (التركمان) الذين نزحوا إلى العراق في عهد السلطان طغرل بك السلجوقي[3]. وهذا الاحتمال

1 وهناك من يرتأي انّهم من الأغوات، والبيكار والشيوخ (راجع سعد سلّوم، السياسات والاثنيات في العراق، ص ٢٥١). ولست أدري على أي أساس أتى هذا التقسيم والإستنتاج؟!

2 هذا باعتراف الكثير من المثقّفين الشبك، منهم معلّمين ومدرّسين ومن ابناء المنطقة.

3 طغرل بك (ركن الدين أبو طالب) قائد سلجوقي مؤسس السلالة السلجوقية، قضى على البويهيين ودخل بغداد سنة ١٠٥٥، فخلع عليه الخليفة القائم العباسي (١٠٣١ـ١٠٧٥) لقب السلطان وملك الشرق والغرب. قهر الباسيري الذي احتل بغداد وخطب الخليفة الفاطمي المستنصر

أيضاً ضعيف لأن لغة الاتراك الذين نزحوا إلى العراق في عهد السلطان طغرل بك لغة آذارية كثيرة الشبه بلغة سكان منطقة كركوك ولغة الشبك تركمانية بعيدة عن الآذارية.

٣- والاحتمال الثالث، أن يكون الشبك من عشائر القره قويونلي أو آلاق قويونلي. هذا الاحتمال يحتاج إلى بيّنة ومعرفة تامة، بلغة هاتين القبيلتين أو الدولتين[4] ومقابلتهما بلغة الشبك الحالية. وهذا امر عسير بل فيه الاستحالة المطلقة.

٤- ان يكون الشبك من الاتراك الذين جاء بهم السلطان مراد الرابع[5]. واسكنهم في شمالي العراق. وهذا الاحتمال يعوزه الدليل، بيد ان الأمر الذي لا شك فيه هو انّ عقيدة الشبك بكتاشية-

---

وأعاد الخليفة العباسي سنة ١٠٦٠م.

4 آق قوينلو: معناها (الخروف الأبيض) قبائل تركمانية بسطت نفوذها على ديار بكر حتى الفرات بعد الزحف المغولي في القرن الخامس عشر، نقل أميرها اوزون حسن العاصمة إلى تبريز. قضى عليها الصفويون عام ١٥٠٢. وقره قوينلو (الخروف الأسود) سلالة تركمانية حكمت في آسيا (١٣٧٥-١٤٦٨) امتد نفوذها في عهد اويس الجلائري إلى الموصل وسنجار والعراق الغربي وتبريز وبعض مدن العراق الشمالية واذربيجان. قضى شاه رُخ وابنه حسن على ممتلكاتهم هذه بينما انزل شاه جهان الضربة القاضية بفرح بغداد.

5 مراد الرابع: ولد نحو سنة ١٦٠٩، سلطان عثماني (١٦٢٣-١٦٤٠) انتزع بغداد من الفرس عام ١٦٣٨.

قزلباشية، محصّنة، بتطوير وتبديل قليل وان كتابهم المقدّس المسمّى «مناقب» أو «البويوروق» قد وضع بلغة تركمانية، كثيرة الشبه بلغة الشبك المحليّة. الآن، وهذه ظاهرة لا يجوز انكارها، ولا يمكن ردّها أو دحضها، وهذه الظاهرة، وان لا ترتكز على أساس ثابت، الاّ انّها على الأقل ليست بعيدة عن الحقيقة لأنّها تتفق وعقيدة الشبك البكتاشية والقزلباشية، وتتشابه مع لغة الشبك بلغة «المناقب» وهذا يمنحنا شيئاً من اليقين ان أصل الشبك وان هو أمر مجهول الاّ ان تسرّب هذه العقيدة هو حقيقة ولا يشوبه شيء من الغموض والابهام[6].

٥- ان يكون الشبك اتراكاً جاءوا إلى العراق بعقيدتهم في عهد الصفويين[7] وهذا الاحتمال أيضاً يعوزه الدليل القاطع. بيد أن

---

6 سنبحث في تاريخ هذه الفرقة البكتاشية والقزلباشية في أحد ملاحق الكتاب.

7 الصفويون: سلالة فارسية عاصمتها قزوين ينتسب مؤسسوها إلى الإمام موسى الكاظم. بدأت طريقة صوفية، ثمّ تحوّلت إلى دولة، أقطع تيمورلنك شيوخها مقاطعة اردبيل. اشهر ملوكها: اسماعيل الصفوي، الذي احتلّ شيروان عام ١٥٠٠م. ولقّب نفسه بالشاه، ووسّع حدود دولته. إنتصر عليه الاتراك عام ١٥١٤ في معركة جلديران: طهماسب الأول (١٥٢٤-١٥٧٦) في عهده احتلّ الاتراك تبريز. ثمّ الشاه عباس الأول (١٥٨٧-١٦٢٨) عقد صلحاً مع الأتراك العثمانيين وانصرف إلى تنظيم الدولة. نقل العاصمة إلى اصفهان. وشجع الآداب والفنون واحتلّ العراق والجزيرة. انقرضت عام ١٧٢٢م.

الأمر الذي لا شك فيه هو انّ عقيدة الشبك عقيدة بكتاشية- قزلباشية محصّنة بتطوير وتبديل قليل. وان كتابهم المقدّس المسمّى «مناقب» بلغة قريبة الشبه بلغة الشبك الحالية.

٦- والاحتمال السادس هو الذي أبداه لي المرحوم محمد صديق الجليلي في مجلسه وكان يؤيده العديدون ممّن كانوا يحضرون مجلسه وفي مقدّمهم الاستاذ سعيد الديوه جي والسيّد أحمد الصوفي وغيرهما:

ان الشبك هم من جماعة التركمان الذين كان يقودهم القائد التركماني جيلوخان[8] الذي قتل في المعركة التي دارت جنوب شرقي الموصل، في منطقة الغزلاني فتفرّق جيشه أو الجماعات اللاحقة به في القرى السريانيّة التي تركها سكّانها منذ ازمان وسكنوها وما زالوا بتلك القرى امثال باشبيتا وباسخرا وبازوابا وعلي رش وغيرها.

وكان الدكتور محمّد صدّيق الجليلي رحمه الله يستند في قوله هذا على ما جاء في الموسوعة البريطانية التي تقول: ان الشبك سمّوا بهذا الاسم نسبة إلى قائدهم «شاه بك» وقد سمعنا الراي هذا عنه عشرات المرات بين العامين ١٩٦٥-١٩٨٠.

---

8 ما زال القبر المدفون فيه يحمل اسمه إلى هذا اليوم جنوب شرقي الموصل «قبر جيلوخان».

جملة القول: ان الشبك جماعات تركمانية تقطن ما يقارب ثلاثين قرية أو أكثر في الجانب الشرقي من نهر دجلة حوالي الموصل وقرقوش وبرطلي وكرمليس.

وعددهم اليوم يتراوح بين ٣٥٠ الف و٤٠٠ الف نسمة وهم يختلطون مع عشائر البيجوان والباجوران والاكراد والعرب. ولسانهم خليط من التركية والكردية والفارسية والعربية.

وفي رواية انّهم جاءوا من جنوب ايران وان لهم صلات بينهم وبين الفرس[9].

وعليه لا نستطيع ان نجزم انّهم نزحوا إلى هذه الديار من أصل كردي أو تركي، الاّ انّنا نقول انّهم من غلاة الشيعة، كما سنرى في الصفحات القادمة.

---

9 أرجّح انّهم قدموا من شمال ايران ودخلوا شمال العراق واستوطنوا القرى المسيحيّة المنقرضة حتّى ان عدد من الرحّالين الأجانب ظنّوا انّهم من بقايا المسيحيين وخاصة انّهم يتزيّون بذات الزيّ للقرى المسيحيّة، لا بل ان قسماً منهم يتكلّم السريانيّة السوادية (السورت).

٢ـ بيئة الشبك

تقع قرى الشبك في السفوح الجنوبيّة لجبل الفاضليّة وناحيّة بعشيقة إلى حدود النمرود، ومن شرق الموصل إلى غرب نهر الخازر، وبذلك تكون منطقة الشبك بحدودها التي تحدّها مدينة الموصل من الغرب، وفي شرق الموصل حيث تقع في تماس مع قرية كوكجلي وشهرزاد وجيلوخان. ومن جهّة الشمال جبل بعشيقة وجبل الفاضلية وجبل عين الصفرة. ومن الشرق نهر الخازر. ومن الجنوب ناحية النمرود ونهر الزاب.

ومن هذا نقول ان الشبك ينتشرون في قرى حول الموصل كما اشرنا وفي سهل نينوى اذ انّهم ينتشرون في اكثر من خمسين قرية صغيرة وكبيرة تتناثر في قضاء الحمدانيّة وناحية بعشيقة والنمرود فضلاً عن سكناهم في مدينة الموصل، داخلها وخارجها.

من الجدير بالذكر ان ليس هناك أرقام رسمية دقيقة تبيّن عدد الشبك في العراق بسبب قلّة الاحصاء في هذا الشأن، وفي ضوء الاحصاء السكاني الرسمي في العرلق العام ١٩٧٧، بلغ عدد الشبك ٨٠ الف نسمة، مقارنة بعام ١٩٦٠ اذ لم يتجاوز عددهم عشرة آلاف نسمة عاشوا في ٣٥ قرية في حين أورد الانكليز رقماً يقارب احصاء العام ١٩٦٠ في العام ١٩٢٥.

خلاصة القول يقدّر نفوس الشبك في محافظة نينوى في الوقت الحاضر ما بين ٣٠٠ إلى ٣٥٠ الف نسمة كرقم تقريبي ليس الاّ.

٣ـ القرى الشبكية

يقطن الشبك في العديد من القرى في سهل نينوى حول الموصل وباخديدا مركز قضاء الحمدانية وناحية برطلي وناحية بعشيقة وحوالي الموصل شرقها وجنوبها، داخلها وخارجها. وهي بحسب موقعها الإداري كالتالي:

أولاً: القرى التابعة لناحية باعشيقا- قضاء الحمدانية، وهي:

كوكجلي- بازوايا- أورطه- تليارة- أبو جربوعة- دراويش- كورى غريبان- عمر قابجي- كانونه- خورساباد- باريمه- بايبوخت- طوبزاوه- قره تبه- يه نكيجا- فاضلية- ديراك- عباسية- نوران- سماقية- اربجية.

ثانياً: القرى التابعة لناحية برطلي- قضاء الحمدانية:

باسخرا- بازكرتان- يارمجة- طهراوه- باشبيتا- جيلوخان- خزنه تبه- علي رش- منارة شبك- خويتله- لك- شاقولي- طبرق زياره.

ثالثاً: القرى التابعة لناحية النمرود- قضاء الحمدانية:

عمر كان- قره شور- قرقشه- خرابة سلطان- جديده ملا- تل عاكوب.

رابعاً: القرى التابعة لناحية كلك- قضاء الحمدانية:

مفتية- بدنه صغير- بدنه كبير- زهرة خاتون- جمه كور- شيركان- كبرلي[10].

خامساً- القرى التابعة لقضاء تلكيف:

السادة- بعويزه.

10 كبرلي، القرية الوحيدة التي يسكنها بالاشتراك الشبك والصارلية.

٤- الشبك في التاريخ

وضع الشبك في التاريخ قلق، مبهم، مجهول، لقلّة المصادر والمراجع التي تذكرهم أو تتكلم عنهم عرقياً وقومياً ودينيّاً، ومع ذلك نحاول بإلمامة بسيطة وموجزة ان نمر على تاريخ هؤلاء القوم بتسليط حزمة من ضوء النقد التاريخي العلمي فنقول:

الشبك ظاهرة سكّانيّة، اجتماعيّة متميّزة في شمال العراق، وبالتحديد في محافظة نينوى- قضاء الحمدانية وقد ظهروا كمجموعة عرقية في القرن السادس عشر الميلادي، على خلفية الصراع العثماني الصفوي في المنطقة، ولذا بدا نوع من الابهام والغموض يطغى على هذه المجموعة العرقية (الشبك) ضمن التباين العرقي في المنطقة (الشبك). ولقد ظهر الاهتمام بها مؤخراً- بعد سقوط نظام صدام حسين (٢٠٠٣) وذلك لسبب السياسات التفكيكيّة للتجانس والتناغم العرقيين من قبل الحكومة العراقية خلال عقدي السبعينات والثمانينات من القرن العشرين.

الشبك: لا يجد المتتبع لشؤون شمال العراق سوى النزر اليسير من المعلومات عن تلك الجيوب الصغيرة من المجاميع العرقية المتباينة والمنتشرة على حافات كردستان العراق الجنوبيّة والممتدة من منطقتي تلعفر والموصل مروراً بكركوك إلى خانقين

وما حولها[11]. وهذه التجمّعات العرقية كالشبك والباجلان والباجوان والصارلية والكاكائية واهل الحق، وكذلك اليزيدية اشتركوا في هذه الحبائل احياناً. وقد استغلت الدولة العثمانية ان تلعب على الموروث الديني والمذهبي بتفاوت المراتب بين رجال الدين للجماعة الواحدة. وهذا التخصص الديني الذي يميّز رجال الدين عن سواهم يعتبر العامل الاساس للترابط القائم للافراد ضمن كل مجموعة من هذه المجاميع. وبهذا الشكل يظهر التشابه بين هذه المجموعات وبين الطائفة الصوفية، على الرغم من ان معتقداتهم وطرائق ممارستهم للشعائر الدينيّة تعتبر مزيجاً من معتقدات الإسلام ومعتقدات ما قبل الإسلام، ويصح ان نسمّيها «الغنوصيّة» الإسلامية.

ان كل مجموعة من هذه المجاميع -عدا اليزيديّة- تتميّز بلهجتها الخاصة بها، واغلبها يتحدّث بلهجة خليطة بين التركية والفارسيّة والكرديّة، ترتبط بشكل أو بآخر باللهجتين الكورانيّة أو الهُرمانيّة أو لهجة «ماجو» بتضخيم الجيم، كما هي الحال بالنسبة للشبك. وكما يسمّيها اصحابها والناطقون بها، وعلى الرغم من ذلك فان التباين في المعتقدات الدينيّة واللهجات المحليّة من جهة،

11 ان هذا الخط من المجاميع التركمانية انشأه الاتراك بين العرب والاكراد في شمال العراق حيث لم يكن للسلطان العثماني واركان دولته الثقة بهذين العنصرين -العرب والاكراد- لذا انشأوا هذا الخط العسكري لنقل البريد بين الدولتين العثمانية والفارسية يمتد من استانبول إلى طهران.

وعلاقة هذه التجمّعات ببعضها من جهة أخرى، لم يثر الاهتمام الذي يستحق اغلب الدارسين والباحثين، ولن يتم في هذا البحث المتواضع، التركيز على تاريخ وجغرافية الشبك ولكن على نموّهم الحديث والتغييرات التي حصلت لتركيبة الشبك الاجتماعيّة، وخاصة تحت التأثير الدامي للسياسات اللاحقة للحكومة العراقية[12]. وكذلك على التباين الحاصل في اللهجة التي يتكلمون بها، وتبقى المعلومات المستقاة هنا غير مكتملة لاسباب عديدة، وان كان ذلك لا ينفي وجوب الاهتمام الحالي بالشبك ويظل الأمل ان يتوّسع البحث ويمتد لتحميص في هذا الأمر في المستقبل القريب.

تمهيد تاريخي:

ان الكثير من الغموض لا زال يحيط بتاريخ الشبك، ولعل السبب في ذلك هو نشوؤهم أصلاً في مناطق خارج المراكز الرئيسيّة للعالم الإسلامي، وقد حاول الكثير من الباحثين ربط

12 على ما أذكر، كوني ابن المنطقة، انّه في العام ١٩٧٠، تساءلت محافظة نينوى عن محام واحد من الشبك ليعين مديراً لناحية من النواحي التي أغلب سكّانها «شبك». فلم يجدوا يومها خريجاً واحداً من كليّة الحقوق... علماً كان هناك عدد من المعلمين منهم: المعلم هاشم الذي درّسني مادة التاريخ في الصف الخامس الابتدائي في مدرسة الحمدانية الثانية -قره قوش. والمعلم زينل، والمعلم قاسم جمعه. والمعلم قاسم حسن الذي كان تلميذاً معي في المدرسة... ومحمد رجب وفاضل حمادي.

أصول الشبك وغيرهم من الجماعات العرقية الصغيرة في شرق تركيا الحالية، وشمال العراق، وغرب ايران بعصور ما قبل الإسلام، ولكن ظهورهم مجموعات عرقية متميّزة يجب ان ينظر اليه على خلفية الفترات المضطربة بين غزو المغول وتوطد الامبراطوريتين العثمانيّة والصفوية، بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر الميلاديين، وهذه الفترات تميّزت بغياب الاستقرار السياسي، وسرعة تعاقب السلالات الحاكمة، والفراغ النسبي للقوة في ارجاء عديدة من مناطق النفوذ، ولذلك على المستوى المحلّي، فقد ظهرت مجموعات بشرية، اتّصفت بتمايز عرقي ديني ولغوي، وهذه الظروف هيأت المناخ الخصب لظهور اشكال التنظيمات الاجتماعية الجديدة وتفتح معتقدات دينيّة مختلفة، ولقد كانت القبائل التركيّة التي بدأت الدخول إلى المنطقة في القرن العاشر الميلادي سنية المذهب ومشبعة بروح الجهاد، على الرغم من كون معتقداتها الدينيّة الحقيقيّة هي عبارة عن خليط من مبادئ الإسلام وشعائر سكان آسيا الوسطى مع نفحات من الديانة المسيحيّة، ولقد كان هناك اختلاط تام بين هذه القبائل وبين فلاحي الانضول المسيحيين، الاّ ان الآخرين سارعوا إلى الانخراط تحت مظلّة المعتقدات الإسلامية لهذه القبائل وقد وجد باحثون عديدون ان كثيراً من المعتقدات المسيحيّة لفلاحي الأناضول قد تسرّبت إلى معتقدات هؤلاء الغزاة، والكثير منها يعود بأصله إلى المذهب البولصي وليس الى الكنيسة البيزنطية في ذلك العصر، والكثير

من هذه المعتقدات لا تزال تجد صدى لها في شعائر بعض الطرق الصوفيّة، وكذلك الشبك والكاكائية.

وهناك باحثون آخرون يرون التوازي بين ديانة أهل الحق والمتصوفة الاتراك من جهة، وديانات ما قبل الإسلام لدى أتراك آسيا الوسطى من جهة أخرى.

وفي الأرياف دون الحواضر، فان المتصوّفة من مراتب القلندر والباب يمنون المزارعون البسطاء بقرب نهاية الظلم وبزوغ فجر الخلاص، وكانوا يسحرون متحدثيهم ببيان الفروقات بين الإسلام الصوفي وما سواه من المعتقدات الدينيّة الأخرى، وبذلك ساهموا في نشر معتقدات لا يصح ان تسمّى إسلاماً صحيحا ً كالتناسخ والحلول، وعلى الرغم من كون الأساس المذهبي للصوفيّة ظهرت تباشيره في القرن التاسع الميلادي، الاّ ان إنتشاره الواسع لم يتحقّق لتنظيم اجتماعي الاّ في القرن الثاني عشر الميلادي، حلال حكم السلاجقة[13] وخاصة اثناء الغزو

13 أمراء تركمانيون، دعوا كذلك نسبة إلى جدّهم سلجوق. قهر طغرل بك الغزنويون في معركة دنقان عام ١٠٤٠م ودخل بغداد سنة ١٠٥٥م فاعترف به الخليفة القائم بالله العباسي وخلع عليه لقب السلطان. وهم عدة فروع ، اهمّها السلاجقة الكبار في بغداد، اشتهر بينهم الب ارسلان (١٠٦٣-١٠٧٢م) ملكشاه، وكياروق والسلاجقة الصغار أو الأتابكة مربو أولاد الخلفاء نزع بعضهم إلى الاستئثار بالإمارة أو بالسلطنة منهم سلاجقة

المغولي للبلاد الإسلامية، ولعل النحو الواسع وتزايد الهيبة الواضح لهذه الطرق (الطريقة النقشبندية[14] على سبيل المثال) ويعزى في أحد جوانبه إلى فراغ القوة الذي نجم عن قهر الإمارات الكردية في الدولة العثمانية، خلال القرن التاسع عشر، وفي هذا المجال يشار إلى ظهور اهل الحور كحركة اجتماعية دعت إلى معتقدات كالثنوية والتسامي والقدرية خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين، حيث يمكن مقارنتهم بالحركات الايرانية السابقة لها كالمزدكية[15].

وقد ظهرت طريقة صوفية جديدة برئاسة الشيخ صفي الدين في اردبيل[16]. وتطورت إلى حركة جهادية خلال القرن الخامس عشر، ثمّ انطلق أحفاد الشيخ صفي الدين ومريدوه لتأسيس

كرمان وآسية الصغرى والعراق اشتهر بين هؤلاء عماد الدين زنكي بن اقسنفر في الموصل الذي لعب دوراً هاماً في الحروب مع الصليبيين واسترد الرها عام ١١٤٤م.

14 النقشبندي (بهاء الدين)، متصوّف، اصله من بخارى وفيها قبره. مؤسس الطريقة النقشبندية المنتشرة في الصين وتركستان والهند وتركيا. توفي عام ١٣٨٩م.

15 المزدكية: مذهب استنبطه مزدك وهو داع ايراني. اتّبع في تعليمه ماني، وايّد النزعة الغنوصية. اراد اشتراكية الأموال والنساء. ايّد مذهبه الملك قباذ الأول عام ٤٨٨ م، حتّى خلع فاعاد كسرى انوشروان الزرادشتية.

16 مدينة في اذربيجان (شمالي ايران) فيها ضريح الشاه اسماعيل الصفوي وقبر الشيخ صفي الدين.

الأمبراطورية الصفوية في بلاد فارس[17] معلنين انفسهم من ذرية الإمام علي بن أبي طالب كي يكسبوا ولاء القاطنين في بلاد شرق الأناضول. واستمالوا إلى جانبهم القبائل التركية المجاورة، والذين حارب أفرادها وهم يميّزون أنفسهم بشدّ رباط احمر حول الرأس، ولذلك اطلقت عليهم تسمية قزل باش ومعناها في التركية (الرؤوس الحمراء)، وخلال قرون عديدة واعتباراً من القرن السادس عشر ابتدأ الحكّام العثمانيون والصفويون بإضفاء المذهب الديني على سكّان المناطق التي يحكمونها. وقد تعرّض الآلاف من المتصوّفة لمذابح على يد السلطان سليم العثماني بعد معركة جالديران ممّا اضطر افراد الطائفة القزلباشية إلى التواري عن الأنظار واخفاء معتقداتهم الدينيّة الحقيقيّة، او انضووا تحت لواء السلطة العثمانيّة الحاكمة واعتنقوا المذهب السنّي البكتاشي للنجاة بأنفسهم من عقاب الحاكم. وفي مطلق الأحوال فإنّ الطرق الصوفيّة لم تتلاش تماماً، لأن بعضهم انخرط ضمن مقاتلي السلطة

17 الصفويون: سلالة فارسية عاصمتها قزوين، ينتسب مؤسسها إلى الامام موسى الكاظم. بدأت طريقة صوفية ثمّ تحوّلت إلى دولة. اقطع تيمورلنك شيوخها مقاطعة اردبيل. أشهر ملوكها: اسماعيل الصفوي الذي احتلّ شيروان عام ١٥٠٠ ولقّب نفسه بالشاه ووسّع حدود دولته، انتصر عليه الأتراك عام ١٥١٤، في معركة جالديران. طهماسب الأول (١٥٢٤-١٥٧٦) في عهده احتلّ الأتراك تبريز، الشاه عباس الأول (١٥٨٧-١٦٢٨) عقد صلحاً مع العثمانيين وانصرف إلى تنظيم الدولة. نقل العاصمة إلى أصفهان وشجّع الأداب والفنون واحتلّ العراق والجزيرة، انقرضت عام ١٧٢٢م.

العثمانية، وكانوا وسيلة لاذكاء الهمم بين الجنود الانكشارية، وهم النخبة ضمن المقاتلين الأتراك، وبذلك استمرّت لا بل نمت أكثر فأكثر الطريقة البكتاشية حتى القرن التاسع عشر، وسوى ذلك على مجاميع أخرى استطاعت ان تحصل لها على وضع متميّز نوعاً ما ضمن الامبراطورية العثمانية، ويشار في هذا الصدد إلى الباجلان الذين قدموا إلى مدينة الموصل أواسط القرن الثامن عشر وانتظموا بالعمل كجباة ضرائب للسلطة المحليّة الحاكمة. ولعلّ ذلك يفسّر أيضاً استطاعة الشبك تجنّب المشاكل مع السلطة المحليّة والتمكّن من الاستقرار في شرق مدينة الموصل، وهي ليست بمعزل عن مراكز الاستقرار المدني في الامبراطورية العثمانية.

ولكن نتسائل:

هل يعني ذلك ان الشبك تمكّنوا من فرز أنفسهم كمجموعة عرقيّة متميّزة؟

ان الإجابة عن هذا السؤال لا تكمن في التبسيط المخل الذي يربط الخليط من معتقداتهم الدينيّة بكونهم من غلاة الشيعة بل يتعدّاه إلى مشاعر الأسى والألم التي تخالج الكثيرين منهم، وحتّى الوقت الحاضر من محاولات جيرانهم التشكيك بمعتقداتهم الإسلامية وغلو آخرين في محاولة اخراجهم من حظيرة الالتزام

ولعل ذلك دفعهم إلى تصوّر أنفسهم بمعزل عن جيرانهم العرب والأكراد من غير الشبك، ومع ذلك فالكثير منهم يعتبرون أنفسهم ذوي اصول كردية؟! وزد على ذلك ان بعضاً منهم انخرطوا بالفعل في الكثير من الحركات الكردية. وقد لا يحّسوا الفرد منهم أية مشاعر متناقضة بين كونه يتميّز لغوياً ودينيّاً وبين تحدّره من أصل كردي بالمفهوم العام أو تركماني أو عربي[18].

وعموماً فالولاء يكتنف الشبكي بمستوياته المختلفة وبالدرجة ذاتها، منطلقاً من ولائه الشبكي مروراً بالولاء للقوميّة العربيّة، منتهياً بالولاء إلى العراق كوطن لهم منذ قرون وقرون.

ومع ذلك يمكن القول بأن وضع الشبك ظل مبهماً ضمن فسيفساء المنطقة والعيش المشترك مع العرب كنّا نسمع منهم ويؤكّدون انّهم ابناء الوطن الواحد.

ولكن وضمن سياق معيّن في الثمانينات فقد اجبر سكّان المناطق الشماليّة في العراق على اتّباع خيار واحد وصريح فيما يتعلّق بتحديد قوميتهم. وكان هذا الخيار الأوحد هو إعلانهم، إمّا

18 كما هو معلوم لدينا ومن حيث الاختلاط والمعرفه نجد الكثير من الشبك ينتمون إلى العنصر العربي سيّما إلى قبيلة «الطائي» ويفتخرون كونهم هكذا، والقسم الكبير يتّقنون التكلّم باللغة العربية، سيّما الشيعة منهم وهم الأكثرية الغالية في محافظة نينوى وبالأخص في قضاء الحمدانية. وقيل في ذلك ان الشبك سجلوا اسماءهم لدى الشيخ الطائي وانتسبوا إلى الطائيين بحسب قيمة الانتساب فقيل في ذلك طائي فوق، طائي تحت.

الإنتساب للقومية العربية أو للقومية الكرديّة وسيظهر لاحقاً التأثير الذي خلفه هذا الخيار القسري عليهم بشكل ردّة فعل عنيفة لديهم وعليهم.

في حال كهذه، فانّه من المبالغة القول بأن مجموعة من البشر تظهر ضمن نطاق يختلف عنها، وبالظروف التي ظهرت بها لا يمكن اعتبارها مجموعة عرقية متميّزة أو ذائبة في عرق آخر كما حدث للسريان والكلدان والأشوريين بأن ينتسبوا إلى العرق العربي قسراً، وهكذا يصح القول في العرق الشبكي الذي فرض عليه الإستعراب أو الاستكراد. ولا يصح كذلك تسميتها بالمذهب، لأن ذلك يخالف الواقع وقد يسبغ عليها غطاء دينياً مخالفاً لعقيدتهم أو انتمائهم وهذا مخالف للحقيقة، ولعل أفضل ما يمكن وصف هؤلاء به هو مصطلح «المكوّن» حتى وليس الطائفة التي يمكن ان تكون من عرق واحد أو اعراق متعدّدة وذلك اعتماداً على التمايز اللغوي وليس اختلاف المعتقد الديني أو المذهبي.

ومن الملاحظ واقعياً واجتماعياً ان الشبك استوطنوا قرى صغيرة تمتد حول الموصل حتى اسكي كلك على الضفة الغربية لنهر الزاب الكبير، وقد سكنوا بشكل مباشر متجاوزين كل عرف في سكناهم قرى مسيحيّة عديدة كانت منقرضة سكّانياً ومنها:

باسخرا، بازوايا، باشبيتا، بدنة، بعويرا، باجباره، وغيرها[19]. كما وانّهم اختلطوا بالباجلان اختلاطاً مباشراً بحيث سكنوا قرى مشتركة في كثير من الأحيان، وكذلك جاوروا التركمان والعرب واليزيدية. وإلى هذا اليوم[20] ومن الصعوبة الوصول إلى الاعداد الحقيقية للشبك في الوقت الحاضر لغياب أي احصاء حديث موّثق عنهم. ولعلّ رقم مئة الف نسمة يقترب من الصحّة، وهم موّزعون على حوالي خمسين قرية متفرّقة وقد أوردت الحكومة العراقيّة اعدادهم ضمن الإحصاء السكاني العام ١٩٦٠، فبلغت بهم خمسة عشر الف نسمة ضمن خمس وثلاثين قرية على ان الانكليز أوردوا رقماً يقارب العشرة آلاف نسمة عام ١٩٥٢.

وقد شاب اغلب الدراسات السكّنية الحديثة عن الشبك بعض الابهام والغموض، كما اتّضح لدى أغلب الباحثيسن الأجانب ومنهم «ريج RICH» وحيث ذكر ان سكّان القرى الواقعة على طريق الموصل-اربيل والتي مرّ بها سنة ١٩٣٦ هم روزيان

---

19 وفي الفترة الأخيرة بعد سقوط نظام صدام شرعوا يمتدّون إلى القرى المسيحيّة ليستوطنوها حتى بالقوة أو بالشراء في منطقة باخديدا وبرطلي وكرمليس لتغيير النظام السكّاني لغايات خاصّة قد تكون متطرّفة، كما جرى في بلدة برطلي.

20 وهذا ان دلّ على شيء يدل ان العراق منح المواطنة الصادقة الحقيقيّة لعراقيين ليس لهم الاّ عندما زوّدهم بالجنسيّة العراقيّة منذ قيام الدولة العراقية عام ١٩٢١.

وباجلان ذو الأصل التركماني، وان كانت هاتان العشيرتان وثيقتي الصلّة بالشبك، ولكنّه لم يذكر أي شيء عن لهجتهم المحليّة أو معتقداتهم الدينيّة. وذكر باحث آخر هو (اوستن هنري لايارد) والذي امضى فترة طويلة في تنقيبات في منطقة الشبك، ذكر انّهم ينحدرون من سلالات كردية أو تركمانيّة عاشت في ايران. وتمكّن باحث آخر في إحصاء خمسمئة عائلة شبكية ضمن القبائل القاطنة في أرجاء الامبراطوريّة العثمانيّة وذكر منهم من التزم المذهب الشيعي في العبادة، بينما اعتنق آخرون المذهب السنّي وذهب آخرون لاعتناق الديانة البابيّة، وكذلك قسم منهم أسمى لنفسه نبيّاً جديداً وهو البير في الحقيقة هو لقب لأعلى مرجع ديني لديهم، وفي جميع الأحوال اعتبر جميع هؤلاء الباحثين الشبك وجيرانهم الأقربين الباجلان، اعتبروهم اكراد بالأصل.

أمّا الدراسات العربيّة، فقد نحت في أغلب الأحيان إلى رد أصول الشبك للتركمان، وأورد السيّد أحمد الصرّاف على سبيل المثال لوجود الشبكي على خلفية الطريقة الباكتاشية-القزلباشيّة، وحاول دعم الرؤية القائلة، بأن قدومهم إلى شمال العراق توافق مع الحملة الصفوية على العراق، ولم يعتبر ان الشبك ينحدرون من أصول كردية-فارسيّة لأنّهم حسب رأيهم يتكلّكون لغة أخرى تختلف عن اللغة الكردية وتعتبر مزيجاً من اللغات الفارسيّة والكرديّة والعربيّة وان المفردات التركيّة هي الغالبة عليها.

وثمّة باحث آخر هو السيّد موسى يرى ان اصولهم تركية. وقد نشأوا في الأناضول، ثمّ التحقوا فيما بعد بالشاه اسماعيل الصفوي، واستقرّوا في الموصل، بعد هزيمة الشاه من قبل العثمانيين في معركة جالديران، واستدلّ على ذلك بأن كتابهم المقدس والذي يسمّى البيرق أو المناقب، مكتوب بالتركية، إضافة إلى وشائجهم المذهبية مع الطريقة البكتاشية والطرق الصفوية الأخرى، ويبقى الاستدلال بكتاب البيرق وتبسيطاً للأمر لا يستقيم معه دليل قوي، لأن المفردات الشبكية تتوافق اغلب الأمر مع اللهجتين الكورانيّة والهومانيبّة الكرديتين، ولذلك يعوزه الدّليل عن قيام ايّة اتّصالات مباشرة أو غير مباشرة بين الشبك و البكتاشيّة.

ومن غير الواضح على وجه اليقين متى ظهر الشبك كمجموعة عرقية متميّزة، وما هي خلفيّة اعراقهم؟ وكذلك لا يزال الإبهام يلف العلاقة بين الشبك والباجلان (والذين بسمّون أحياناً البيجوان) الساكنين في وادي نهر الخوصر شمال الموصل. وقد ميّز الباحث سايكس سنة ١٩٠٨ بين هاتين المجموعتين، واستطاع ان يحصي ثمانمئة عائلة بيجوانيّة تتكلم جميعها خليطاً من اللغتين العربيّة والشبكيّة. امّا الباحث مكنزي عام ١٩٥٨ فيرى ان اسمي الشبك والبيجوان أو الباجلان هما صنوان مجموعة عرقيّة واحدة تسمّي نفسها الشبك، ويسمّيها بيجوان، وممّا لا شك ان المجموعتين جد متقاربين، ولكن هناك ما يدعو الفصل بينهما. ففي حين ان لهجة الباجلان قريبة جداً من لهجة الشبك، فان الباجلان

انتظموا في عشائر معروفة بخلاف الشبك، واتّبعوا المذهب الشيعي الاثني عشري، ولذلك ثمّة ما يدعو للاعتقاد ان الباجلان هم منظومة قبليّة ضمن المجتمع الشبكي، ولعلّ اكثر ما يدل على الأصول المتعدّدة التي انحدر منها الشبك هو تسميتهم هذه، والتي تعني بالعربية الاختلاط، وتعني كذلك احتمال انحدارهم من اكثر من مجموعة عرقية ضمن الاعراق المتعدّدة في المنطقة.

ولكن الأمر لا يبدو كذلك للقوميين العرب أو الأكراد أو التركمان، حيث يحاول كل منهم ربط أصول الاكراد أو التركمان، حيث يحاول كل منهم ربط أصول الشك بقوميّة واحدة وعرق منفرد كأن يكونوا بأجمعهم عرباً أو أكراداً وتركماناً أو فرساً.

وعلى الرغم من ان المعتقدات الدينيّة للشبك هي ما يمكن مقارنته بسواها من المعتقدات الدينيّة لطوائف عدّة. وخاصة الطريقة القزلباشيّة، الاّ ان الحقيقة ليست بهذه السهولة، وقد حاول الباحث نفسه الحديث إلى من قابلهم من الشبك، وكانوا جميعاً عازفون عن الخوض في تفاصيل معتقدهم الديني وكانوا يكتفون بالإجابة بأنّهم مسلمون وحسب، ومع ذلك يبدو أن تنظيمهم الإجتماعي يقترب من مراتب الصوفيّة، حيث يسمّى رجل الدين الناشئ (المريد) وهو يرتبط روحياً بشخص أعلى منه مرتبة يسمّى (المرشد) وهناك عدّة مراتب للمرشدين، وهم جميعاً يرتبطون بمرجع أعلى يسمّى (البير).

ومن الناحيّة النظريّة يحق للافراد تزكية أحدهم واختياره لمنصب البير، ولكن عملياً تمّ توارث هذا المنصب بين عوائل معينة على مدى عقود من الزمن، وبذلك تمكن نوع من التماسك للنسيج الاجتماعي في محتمع يفتقر اصلاً لمقوّمات الترابط المتين، سواء على أساس قبلي أو مذهبي، أو عرقي، وقد أقام الشبك علاقات وطيدة مع اليزيدية. وكان الكثير منهم يحجّون إلى مراقدهم، وهذا يبدد الانطباع السائد، ان اليزيديّة هم سنة غلاة وورِيثوا العداء لكل ما هو شيعي.

ومن خلال الخلفية القزلباشية للشبك، يلاحظ مدى تعلّقهم وتقديرهم للشاه الصفوي اسماعيل، وذكر باحثون آخرون ان الكثير من الشبك يحجّون إلى العتبات المقدّسة في كربلاء والنجف وليس إلى مكّة، وهو افتراء لا أساس له من الصحّة.

وما عدا هؤلاء الزعماء الدينيين فقد ارتبط الشبك في شؤونهم اليوميّة بمرجعين آخرين، ففي العراق الملكي عمل اكثر الشبك في قراهم كمزارعين لأراضي يملكها ابناء عوائل في مدينة الموصل، ارتبط بهم لقب السّادة، وهو لقب يضفي على صاحبه مسحة دينيّة وهؤلاء الملاك اتي بهم ايام السلطة العثمانية من الحجاز والكوفة ومنحت لهم الأراضي ليقوموا بالمقابل على خدمة السلطة، واصبح هؤلاء الملاك، بحكم موقعهم واحتكاكهم اليومي بالشبك من ناحية، وافراد الحكم العثماني في الموصل من ناحية أخرى، اصبحوا الوسيط الذي يساعد الشبك في تسويق منتوجاتهم

الزراعية في مدينة الموصل، وكذلك فض النزاعات التي قد تحصل بين الشبك وبين اركان الحكم في الموصل بين الحين والآخر، وبالإضافة لهذه المرجعية الدينيّة (نسبة إلى مدينة الموصل)، فقد تولّدت مرجعية أخرى للشبك هي من بعض مواطني الشبك أنفسهم، والذين استطاعوا ان يرتقوا اجتماعياً امّا بامتلاك الثروات أو باستكمال مراحل عالية من التّعليم والانخراط في وظائف مدنية أو عسكرية مرموقة... وهؤلاء استوطنوا مدينة الموصل نفسها وتأثّروا بالتيّار العروبي السائد فيها، وحاولوا لعب دور السادة في حلّ النزاعات مع الشبك وانفسهم، وبين الشبك وجيرانهم الاّ ان تأثيرهم وتنظيمهم كان أقل درجة الملاكين السادة.

وحين هبّت رياح التغيير على العراق بعد سقوط العهد الملكي بثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، ،وصدور قوانين الاصلاح الزراعي بين العامين (١٩٥٨-١٩٦٣) إستطاع بعض الشبك أن يتملكوا الأراضي التي كانوا يزرعونها وانتقل بعضهم للاستقرار في مدينة الموصل، وعمل آخرون في مصانعها ومعاملها. وبسبب هذه الدرجة من التحرّر الاقتصادي ضعفت الروابط التقليديّة بين الشبك وملاّك الأراضي في مدينة الموصل من جهة، وبين الشبك كمجتمع متجانس ومتكاتف من جهة أخرى، ومع ذلك ظل الكثير من الشبك يعتمدون على سادة الموصل في تسويقهم منتجاتهم الزراعية ومواشيهم، وخاصة الاغنام والابقار التي برعوا في تربيتها. وبشكل عام اخذ المجتمع الشبكي يتهاوى نتيجة انتقال

الكثير منهم للسكن في مدينة الموصل، والقرى الكبيرة المحيطة بها، وحتى العاصمة بغداد، وانخرط الكثير منهم في وظائف الدولة كالتعليم والشرطة والجيش ممّا اكسبهم رقيّاً اجتماعيّاً، وبدد البعض الشيء السمعة التقليديّة التي أشيعت عنهم، بانّهم ضعاف الهمة، قليلوا الهمّة خاملوا الذهن،

ونتيجة كل التطورات والتغيّرات الاجتماعيّة والاقتصادية التي هبت على العراق الجمهوري منذ العام ١٩٥٨ وحتى اليوم، فقد انهار نظام المرجعيات الدينيّة وغير الدينيّة. لدى الشبك، وتداخل نسيجهم الاجتماعي مع محيطهم الجديد. وخمدت لديهم جذوة المرجعيّة الدينيّة الشيعيّة في النجف وكربلاء، وحتى مع المرجعيات السنيّة ممّا أدّى إلى ضياع الشبك بين قوميّة البعثيين العربية وقوميّة البرزاني الكردية، ودخلوا في صراع مع الذات، بين المواطنة العراقية وبين الغلوّ في الباطنية.

ومن أجل هذا دمّرت اكثر من عشرين قرية شبكية جزئياً أو كلياً. منها:

باجربوعة - بازكرتان- باسخرا- بازوايا- كوكجلي- كبرلي- منارة- طهراوه- شيخ أمير- شاقولي- تيرجلة- طوب زاوه- خزنه- تورطه خراب- زهرة خانون-.... وغيرها....

ومن ثم ترحيل اكثر من الفين عائلة إلى مجمّعات سكّانيّة حديثة المنشأ في سهل حرير بمحافظة اربيل وكذلك في منطقة

بازيان ومنطقة جمجمال التّابعة لمدينة كركوك... ولكن في خريف ١٩٩٠ سمح لهم بالعودة إلى أماكن سكناهم الأصلية. بعد ان أعلن بعض زعمائهم انّهم عرب، وليسوا اكراداً[21].

لم يكن ترحيل الشبك الاّ المرحلة الأخيرة في برنامج تعريب كامل لشمال العراق والذي تبنّته حكومة البعث منذ سنة

---

21 هناك مصدر تمّ منه الاطّلاع على ما حصل للشبك سنة ١٩٨٨ يعود إلى مصدر وثائقي صادر عن مديريّة أمن اربيل لفروع دوائر الأمن التّابعة لها، والمؤرخ في ٣١ آب ١٩٨٨ وقد صودر خلال احداث ربيع عام ١٩٩٠ والوثيقة تحمل الرقم الإداري س.ح.س.س ١٣٠٦٩ نقرأ فيها ما يلي:

تمّ اعلامنا بما يأتي:

هناك عناصر الشبك الذين التحقوا بأفواج الدّفاع الوطني، والذين غيّروا قوميتهم من العربيّة إلى الكرديّة.

أمر الرّفيق المناضل علي حسن المجيد، أمين سرّ تنظيم الشّمال، تدمير منازلهم وترحيلهم إلى المجمّعات السكنيّة في محافظتنا، وقطعاً سوف لن يتمّ تعويضهم بأي شكل من الأشكال.

للتفضّل بالاطّلاع واتّخاذ ما يلزم واعلامنا

التّوقيع

عقيد الأمن مدير أمن اربيل

راجع كتاب «الشبك في العراق» لمؤلّفه زهير كاظم عبود، بيروت ٢٠٠٩، ص ٨٥.

١٩٧٥. ومن المستحيل قياس مدى التأثير الذي تركته عمليّة التّرحيل على هويّة الشبك المتآكلة أصلاً، وأقل ما يقال انّه ضاعف من محو معالم هذه الهويّة وطمشها. وفي الوقت الحاضر يجد الشبك القاطنون في شمال العراق غير الخاضع للسلطة المركزية أنفسهم أكراداً أكثر من ذي قبل، وقد تساءل بعضهم عن أحقيّة ترحيلهم من قبل السلطة المركزيّة اذا كانت تعتقد انّهم حقّاً عرب وليسوا أكراداً.

وفي نهاية المطاف يتبيّن ان روابطهم المشتركة مع بعضهم قد ضعفت وتفكّكت، ولا يزال اغلبهم يقطنون الموصل وضواحيها والقرى المحيطة بها ولا زالت عمليّة شدّهم إلى صف الحكومة جاريّة، الاّ ان المعلومات عنهم قليلة في الوقت الحاضر، بسبب التكتّم الإعلامي حولهم من قبل الحكومة المركزية.

وعلى ما سبق نلخّص الموضوع بقولنا:

ان الشبك (غلاة الشّيعة) طائفةً مستقلةً لها خصوصياتها بعيدة عن القوميتين العربية والكردية قوميّة خاصة لها علاقات مع التركمانيّة والفارسية، استوطنوا في سهل نينوى في المنطقة الواقعة بين نهر الخازر ونهر دجلة منذ القرن السادس عشر.

والشبك مسلمون واكثريتهم السّاحقة من الشيعة، وتتوّزع سكناهم في قرى يبلغ تعدادها أكثر من خمسين قرية في محافظة نينوى ولاسيّما في قضاء الحمدانيّة. وناحيّة برطلي وبعشيقة

والنمرود وفي قضاء تلكيف، ويبلغ تعدادهم ما يقارب المئة الف.

وعليه نوجز القول: ان الشبك قوميّة خاصة ومذهب خاص يشتركون مع جيرانهم العرب والاكراد والتركمان بالعادات والتّقاليد والقيم والتراث المشترك في منطقة جغرافيّة واحدة، وضمن مناطق اداريّة مشتركة مع السّريان والكلدان والاشوريين واليزيديين والعرب والاكراد والتركمان، بحياة مشتركة يسودها الوئام والسّلام والاخوّة...

٥ـ مظاهر الديانة الشبكية

لا بد من القاء نظرة سريعة على مظاهر ديانة الشّبك أو مذهبهم فنتناول:

أـ العبادات

١) الصلاة:

الصلاة ركن من أركان الدين الإسلامي: وترك الصلاة إثم كبير، وتارك الصلاة، ضال وآثم يحكم عليه بالقتل. والشبك لا يؤدّون فريضة الصّلاة كسائر المسلمين، فيصلون صلاة واحدة ليلة الجمعة قعوداً على شكل حلقة. ويكون الاجتماع في دار «البير» وبحضور اثني عشر شخصاً. فيبتدئ البير بتلاوة ما يستظهره على قلبه من «الكلبنك» وقد ينشد الرهبر محفوظاته بعد البير، ومن ثم يأمر البير الحاضرين ان يسجدوا فيسجدون وعند ذلك يقرأ البير قائلاً:

«ليكن التوّلي والتجلّي مقبولين. ليكن مرادهم ميسّراً. ليحلّ الخير في المساء. ليدفع الشر» هو الصادق وليفنى أهل الباطل. هو لمن جعل السر سرّاً حاجي بكطاش ولي شيوخ «القزل» والواصلون من أردبيل هم الذين وضعوا لنا هذه الطّريقة. لنقل هو

للواصلين. الله، محمد، علي، الحور حبيب، والبير حبيب. الحق ملك. وللباطل اف[22].

٢ً) الصوم

كما ان الشبك لا يصلّون في الأوقات الخمس كما هو مفروض على المسلمين، فانّهم لا يصومون شهر رمضان، الاّ انّهم يصومون تسعة أيّام من العشرة الأولى من شهر محرّم الحرام، ويقول عوامهم- نحن لا نصلّي لأن عليّاً عليه السلام جرح وهو ذاهب إلى الصلاة، ولذلك لا نصوم لأنّه قتل في شهر رمضان وقد يقولون متهكّمين بالصوم «كان حمار رمضان قد توّحل في الطين فخلصناه نحن فاعفانا رمضان من صومه».

٣ً) الزكاة

والشبك لا يزكون أموالهم كسائر المسلمين ويهملون هذا الفرض، الاّ انّهم يعطون من حاصلاتهم الزراعيّة ما يسمّونه خمس الجد لأناس يعتقدون انّهم سادة من صلب الرسول محمد.

---

22 لا يجوز للطفل ان يحضر الصلاة ليلة الجمعة حتّى يبلغ السّابعة، فاذا بلغها اخذه أبواه إلى البابا «البير». وعند حضوره يقبّل يد البابا ثلاث مرّات، فيمنطقه البابا بحزام يشدّه سبع مرّات، وبعد ثلاثة أيام يحضر الطفل وأبواه مرّة ثانية في دار البابا فيفكّ البابا العِقَد السبع ويقدّم الطفل له اربعين قرشاً واربعين بيضة رمزاً إلى الأربعين من الأبدال الذين يعبدون مع الإمام علي في كهف في سنجار . ثمّ يقرأ البابا له «الكلبنك»، فيصير له بعد هذه المراسيم الحق لحضور الصلاة مع المصلّين.

٤ً) الحج

والشبك لا يحجّون إلى بيت الله الحرام، ولا يكاد يوجد بينهم من شدّ الرحال إلى الحج، وفي السنين الأخيرة صار بعضهم يقصد زيارة العتبات المقدّسة في النّجف وكربلاء. كما شرع بعضهم يتّصل بمجتهدي الشيعة الاثني عشرية ويعلن انتسابه إلى الشّيعة الاثني عشرية. وقد بذل كبير علماء الشّيعة السيّد أبو الحسن الأصفهاني جهداً عظيماً في انقاذ هذه الطائفة من الزيغ والمروق، فارسل اليهم من فضلاء تلاميذه عدداً غير قليل لوعظهم وإرشادهم فما نفع ذلك معهم شيئاً بسبب وجود عقبات كثيرة في سبيل هذا الغرض الشّريف، أوّلها: سيطرة البابا والرهبر سيطرة تامّة على عقول الشبك وأرواحهم والسنتهم. وثانيّاً تفشّي الأميّة فيهم تفشّياً قويّاً. وصفوة القول فأن الحج عندهم لا يكون الاّ لمدينة كربلاء التي فيها مرقد الشهيد الحسين ولا يتم الاّ لسبع مرّات[23].

ب- مواسمهم ومراسيمهم

للشبك مواسم دينيّة خاصة يحتفلون فيها فتجري فيها مراسم معيّنة يصح ان يقال عنها إنّها صارت من عاداتهم وتقاليدهم التي لا تخرج عن حظيرة عقيدتهم وصميم تعبّدهم. وهذه المواسم هي:

---

23 وقد ايّد هذه الرواية الاستاذ القلامي في كتابه «فرق الباطنيّة» (راجع أحمد الصرّاف في كتابه «الشّبك» ص ٩٨).

١ً) ليلة رأس السنة

ليلة رأس السنة من الليالي المقدّسة، وتكون الليلة الأولى من شهر كانون الأول من كل سنة وقد حِرتُ في معرفة السبب الذي حدا الشبك على أن يجعلوا رأس سنتهم تلك الليلة من كانون الأول وقد سألت عنها كثيراً فلم أقف على الجواب.

٢ً) عذركيجه سي (ليلة التعاذر)

وهي الليلة التي يغفر المتباغضون بعضهم لبعض ويتسامحون فيها. ولها مراسيم خاصة يقوم بها إثنا عشر شخصاً برئاسة البابا-البير، ويعتبر الإجتماع في ليلة المسامحة هذه من الإجتماعات المقدّسة.

٣ً) ليلة اعتراف

وهي الليلة التي يتقدم بها الشبكي إلى البابا فيعترف له بخطاياه وذنوبه. وفيها ينشد البابا (الكلبنك) الخاص بالاعتراف وقد يجاريه في الإنشاد «الرهبر».

٤ً) مراسم الدخول في الطريقة

وللدخول في الطريقة مراسم خاصة يقوم بها «البابا» ويساعده على ذلك «الرهبر» وهي من أعجب عاداتهم واكثرها غرابة.

٥) زيارة مراقد الأئمة

ويحتفل الشبك بزيارة مراقد الأئمة وهي مرقد «العباس» في قرية العباسيّة. ومرقد حسن فردوش قرب قرية الدراويش. ومرقد علي رش ويسمّونه «زين العابدين».

٦) العشرة لأولى من محرّم الحرام

ويقيم الشبك المآتم والمناحات في العشرة الأولى من شهر محرّم فيبكون وينوحون ويلطمون ولهم في ذلك أهازيج خاصة.

٧) مراسم عيد رأس السنة

في اليوم المعيّن للإحتفال برأس السنة يجلس «البير» في حجرة خاصة به ويأمر «الرهبر» ان يجمع سكّان القرية من رجال ونساء ويدخلهم إلى الغرفة الجالس فيها البير عشرة بعد عشرة وعند الدخول يسجدون على عتبة الغرفة وتسمّى «أستانة» ثمّ يولون وجوههم نحو السراج أو الشمعة المعلّقة في الحجرة فيسجدون جميعهم ويحتّم على كل من أراد الحضور في دار «البير» ان يجلب معه ديكاً وخمراً وثلاثة أرغفة من الخبز تسلّم إلى الأشخاص المنوط بهم استلامها من الاثني عشر الذين لا يتم اي احتفال الاّ بحضورهم ومن ثمّ يشير «الرهبر» إلى الحاضرين أن يمتدوا على الأرض فيمتدون أمام البير فاذا اكثر الداخلون جاز أن يحيطوا به على شكل دائرة وعند ذلك يمسح «البير» بيده على ظهورهم وينشد ثلاثاً من «الكلبنك». ولا بد من ذكر الأئمة الاثني

عشر في كل ما ينشده «البير» من القصائد. فإذا انتهى من تلاوة القصائد عليه أن يقول:

«الف الله م محمد ع علي. سكة صاري سيد قاسم. بركوك وكيشر سكة و كيشر يا علي المرتضى يا حسن المجتبي يا حسين الشهيد في كربلاء سردق بزي اتيهه جداً. يا خدا كرجك بزايتد كسه خطا سن بزه ابله عطا سردين عليدن قالو بدرياد كار لا فتى الاّ علي لا سيف الاّ ذو الفقار»[24].

وهذا العمل يجري عصراً وعندما يحلّ الليل ينهض صاحب السكينة المقدّسة ويسمّى «قصابا» ويذبح الديكة ولا يجوز أن يذبحها غيره، واذا ذبحها غيره اصبحت نجسة محرّماً أكلها ثمّ تشوى الديوك وتشرب الخمر ويضرب بالطنبور وتنشد الاشعار ويسهر الجالسون يضحكون ويمرحون حتى نصف الليل، ثمّ يخرجون فرادى ومثنى وجماعات بعد تقبيل يد «البير».

وينتهي بذلك الاحتفال برأس السنة الجديدة والذي حضر تلك الليلة جاز له ان يحضر صلاة ليلة الجمعة... ومن لم يحضر لا يسلّم عليه وليس أن يصلّي ليلة الجمعة.

---

24 النص مقتبس عن كتاب «الشبك» للاستاذ أحمد حامد الصرّاف، ص ١٠٠.

ج- مراتب رجال الدين

قلنا ان الشبك يحتفلون بليلتين مقدّستين عندهم ليلة رأس السنة وتكون في اليوم الأول من شهر كانون الأول وليلة أخرى هي ليلة «الغرفان» ويسمّونها «عذر كيجه سي». وقد يحتفلون بليلة الغفران في رأس السنة. وعلى أي حال فان الإجتماع المقدّس لا يتم الاّ بحضور اثني عشر شخصاً وهم كما يلي:

١ً) البير

أي الشيخ وهو الرأس عند الشبك ويلقّب بـ «البابا» أي الأب. وفي يده مقاليد الأمور، وهو الذي يقوم بايفاء الشعائر الدينيّة، ويعترف له الشبك بخطاياهم وآثامهم، فيغفر لهم ويحلّهم من الخطأ. وهذه السنّة مقتبسة من البكتاشيّة. وقد نظّم رؤساؤهم عدّة أناشيد «كلبنك» باللغة التركمانية الركيكة التعابير يتلوها «البابا» في ليلة الغفران.

٢ً) الرهبر

وهو الدليل. والرهبر مقام أدنى من مقام البير وواجب مساعدته على القيام بايفاء الشعائر، وقد ذكر لي بعض الشبك بأنّه لا يجوز له ان يستمع إلى اعتراف الخاطئ بذنوبه ولا يحق له أن يحلّه من خطاياه.

٣ً) حامل الجراغ

أي حامل المصباح أو الشمعة، وواجب هذا الشخص ان

يحمل المصباح أو الشمعة اثناء الاحتفال برأس السنة وليلة «الغفران» ولا يجوز لغيره ان يحمل ذلك. وحامل الجراغ يشعل المصباح ويطفئه بنفسه.

ً٤) حامل المكنسة

حامل المكنسة يتولّى كنس دار البير المعدّ للإجتماع ويقوم بتنظيفها من الدرن والأوساخ.

ً٥) السقّاء

والسقّاء موكل بسقاية المجتمعين، وهو الذي يحمل جرّة وكوزا[25] فيدور على الحاضرين ويسقي الظمآن منهم. وعليه ان يقول من يناوله كوزاً من الماء ليشرب «على يزيد اللعنة» فيجاوبه شارب الماء بنفس القول.

ً٦) الخادم الأول

واجب الخادم الأول ان بتسلّم الطعام أو الخمر من يد كل شبكي.

ً٧) الخادم الثاني

يناط بالخادم الثاني حلّ المناديل التي لُفّ فيها الطّعام أو آنيّة الخمر.

---

25 الكوز: ابريق ماء شعبي مصنوع من الفخار

٨ً) الخادم الثّالث

وظيفة الخادم الثالث أن يكسر من كل رغيف قطعة يعقد عليها منديل الشبكي ولا أدري ما التعليل لهذا الفعل رغم ما رويت لي من الأقوال...

٩ً) الخادم الرّابع

واجب الخادم الرّابع إعادة المواعين (الصّحون) والمناديل إلى أصحابها الحاضرين.

١٠ً) البوّاب الأول

عليه أن يلازم باب دار «البير» وان لا يفارقها مطلقاً طوال ساعات الاحتفال، وعليه مراقبة الوافدين بتفحّص وجوههم خشية أن يندس عدو أو أغراب في اجتماعهم.

١١ً) البوّاب الثّاني

واجبه الوقوف في باب غرفة «الاجتماع» في دار «البير» يقضي حوائجه ويتفقّد أوامره، فإذا حضر الاثني عشر[26] شخصاً حصل النّصاب المفروض وبدأ الإحتفال أو الإجتماع الرسمي.

---

26 ان حضور الاثني عشر شخصيّاً في الاحتفال أو الاجتماع رمز لاثني عشر معصوماً من الأئمّة.

د- ليلة الغفران

يجتمع الشّبك في احدى ليالي الجمعة، في دار البير لإزالة الخصومات وإحلال السّلام في قلوب الشبك. وتسمّى في عرفهم «عذر ليجه سي» أي ليلة التّسامح أو الإعتذار أو الغفران، وتقام بعد غروب الشّمس بساعة واحدة، ولا يتم الإجتماع الاّ بحضور الاثني عشر شخصاً رمزاً للاثني عشر معصوماً من أئمّة الشيعة، ويرأس الاجتماع «البير» ويليه «الرهبر» فحامل المصباح «الجراغ» فحامل المكنسة فالسقّاء فالفراش فأربعة خدّام وبوابان.

وفي هذه الليلة يعدّ كل شبكي طعاماً على قدر ما يتيسّر له ويأتي إلى «البير» حاملاً طعامه بيده وعند دخوله المجلس يقول:

- رأيناكم بسرور

فيجاوب البير والجالسون:

- جئت أهلاً

فيقف أمام «البير» والطّعام في يده ويضع أصابع رجله اليمنى على اليسرى ويقول:

- الله اي والله

فيقول له البير:

- ليكن التمنّي والتوّلي والتجلّي مقبولاً، ليتيسّر مراده، ليحل الخير في المساء، ليدفع الشرّ، هو للصادق والمؤمن يا علي.

ثمّ يجلس مع الجميع على شكل حلقة مستديرة يتوسطها «البير» فيقوم من الاثني عشر حامل الشمعة أو المصباح ويولي وجهه شطر «البير» ويسلّم ثلاث مرات. فيقرأ «البير» ما يأتي:

«المصباح المضيء. فخر الدراويش. اطلبوا الهمّة من الواصلين صلّوا على سيّدنا محمد وآل محمد لكل من أشعل المصباح عشق محمد المصطفى وعلي المرتضى».

وبعد أن ينتهي البير من تلاوة دعائه يضع حامل النّور المصباح في محلّه ويقبّل يد البير ويجلس محلّه[27].

***

ثمّ يتقدّم «حامل المكنسة» ويجب ان تكون طويلة جديدة. ويأخذ المكنسة بيده ويضعها على عتبة الغرفة ويسجد عليها ثلاثاً والمصباح ثلاثاً وللبير ثلاثاً، ثم يقف أمام البير ويقول له:

- صور- أي إسأل

فيخاطب البير الجماعة الحاضرين بصوت جهوري:

- هل فيكم من هو غضبان متألم؟

فإذا وجد شخص كان قد حصل بينه وبين شبكي آخر نزاع أدى إلى عداء، يقوم على قدميه ويقول:

- نعم، ان لي عداء مع فلان بن فلان.

---

27 انظر أحمد حامد الطرف، الشبك، ص ١٠٤-١٠٦

فيقول البير:

- تصالحا (باريشك).

فيقوم الاثنان ويتقدّمان نحو «البير» فيقبّل كل منهم الآخر. فإذا كان الشخص الثّاني غير حاضر. فيأمر البير المعترف بالذهاب اليه فيأخذ هذا الشخص من الجماعة الجالسين شاهدا له ليشهد له انّه ذهب وفتّش عنه فوجده في داره أو مزرعته وتصالح معه وارضاه وما لم يحصل الصلح والصفاء بين المتعاديين فلا يجلس صاحب المكنسة مطلقاً.

وبعد ذلك يبتدئ صاحب المكنسة بالكنس في غرفة الصلاة، وكلما مرّ أمام الدّاخلين في الطريقة الصوفيّة التي سنبينها بعد يسجد له ويقول:

- إي صوفي قارداش (إي يا أخي الصوفي). فيجاوبه الصوفي قائلاً:

- لتسلم رؤوس المنحنين إلى السجود مع الوجع. ثم يجر حامل المكنسة ثلاث خطوط بالمكنسة فيقول:

أ. الله. م. محمد. ع. علي.

ويقف أمام البير فيقرأ «البير»:

- لتكن خدمة الخير، حاصلة المراد.

ثمّ يجمع صاحب المكنسة ما جمعه بالكنس ويخفيه تحت

الفراش فيقول:

- يا هو لمن جعل السرّ سرّاً[28]

***

وبعد ذلك يصيح «البير» بصوت جهوري في الجماعة، فيقول: تهيّئوا للصلاة.

يجلس المجتمعون على الركب كما يجلس المصلّي، ويخلع كل صاحب عقال عقاله من رأسه.

فيقول «البير»: لا تتألّم الرؤوس التي تنحني للسجود. ويسجد الجميع على الأرض.

فيقرأ «البير» ما يأتي: الله الله يا محمّد يا علي ليكن الاثني عشر إماماً وأربعة عشر معصوماً أعواناً أحبّاء لنا؛ ليدفعوا عنا القضاء والبلاء لكي لا يتفرّق المؤمنون المسلمون بعضهم عن بعض فليضرب بالحجر على رأسه كل من يرمينا بحجر ليشفع لنا جميعاً الاثنا عشر والأربعون والسبعة.

وبعد أن ينتهي «البير» من تلاوته يرفع المصلّون رؤوسهم من السجدة ويقبّل كلّ منهم الآخر من وجهته اليمنى واليسرى[29].

***

28 أحمد حامد الصرّاف. المصدر السابق، ص ١٠٦-١٠٧.

29 أحمد حامد الطرف، المصدر نفسه، ص ١٠٧-١٠٨

ثمّ يأتي دور «السقّاء» فيحمل في يده طاساً فيها ماء زلال ويقوم معه شخص آخر يعاونه على حمل «جرّة الماء» فيقف السقّاء أمام «البير» ويقرأ:

«تخليّت عن رأسي ومالي في سبيل عشق الواصلين من الروم وفي سبيل من يرون الحق على الدوام ويحبّون الحق وفي سبيل من ضحّوا برؤوسهم في صحراء كربلاء الحزينة انثر الدّمع باكياً وأصيح يا ساقي الحسين».

فيقول الجالسون: سلام الله على الحسن والحسين الساكنين في الجنان.

ويتقدّم السقّاء نحو «البير» ويسلّمه الطاس وقبل أن يأخذ منه مصّة،

فيقول «البير»: بالمزيد

فيقول الحاضرون: لعنة الله على يزيد

ثمّ يدور السقّاء على واحد واحد من المصلّين ويناوله الطاس فيأخذ منها مصّة وبعد انتهاء دور السقّاء، يأتون بالطعام وعلى كل واحد منهم ان يكسر من رغيفه قطعة يعقد عليها بمنديله ويصفون آنية الطّعام.

فيقول الجميع: ليكن حلالاً

فيقول «البير»: لتكن اللقمة زاداً. ليمت المنكر. النور لمن يأكل. وليكن دليلاً لمن أطعم. هو الصادق. للمؤمن يا علي.

فإذا انتهى الطعام رفع المصلّون صحونهم بايديهم ويقولون بصوت واحد: افتح لنا الطريق

فيقول «البير»: الواقف والجالس للشيخ والشاب للعارف النظر. للصادق هو. هو لمن يجعل السرّ سرّاً. هو لمن يسعل ثلاث مرّات ويعطس أمام داره. هذا طريق الذاهب وهذا بيت الباقي.

وبعد إنتهاء «البير» من كلامه يقوم المصلّون ويقبّلون يد «البير» فرداً فرداً.

وبذلك تنتهي الصلاة[30].

30 أحمد حامد الطرف، المصدر نفسه، ص ١٠٨-١١٠

٦ـ الشبك والبكتاشيّة

ان عقيدة الشبك هي البكتاشيّة القزلباشيّة مع وجود فرق بسيط، فعوائد الشبك وأوابدهم تكاد تكون بكتاشيّة محضة وآدابهم في الطريقة وسلوكهم في التصوّف وشيوخهم جميعهم قزلباشية حاضنة الصفوية التي تأسست في أردبيل...

البكتاشيّة، طريقة من طرق التصوّف، تنسب إلى الحاج بكتاش ولي، المعدود من أولياء الله المجهول تاريخ ولادته في نيسابور، والمتوفي سنة ٧٣٨ هـ، ١٣٣٧م. والروايات التركية تنصّ على انّه درس على أحمد اليسوي الشهير، وقيل ان المؤسس الحقيقي للطريقة الباكتاشية هو بالم بابا المتوفي سنة ٩٢٢هـ/ ١٥١٧م. الاّ انّه ذكر في بيان الأولياء على انّه «البير الثاني» فيكون الحاج بكتاش هو «البير الأول» وقد تأثّرت البكتاشية بالحروفيّة تأثّراً عظيماً، وبذلك فلفضل الله الحروفي وكتابه «الجاويدان» المقام الأسمى عند البكاشية وقد تفشت هذه الطريقة في الأناضول والبلقان فدان بها الألبانيون. وعندما حصل لهم الاتّصال الوثيق بالانكشارية صاروا لهم بمثابة الأئمة، بل انّه كثيراً ما يطلق اسم البكتاشية على الانكشارية فيقال لهم «أتباع الحاج بكتاش» «حاجي بكتاش أو عللري».

والبكتاشية من الغلاة ولهم رأي في الإمام علي ليس بمقبول عند العموم ولهم تعاليل خاصة وحجج قوية يبرّرون بها لانفسهم «الحب المفرط» لشخص الإمام، وهو الحب الذي تزعم العامّة والخاصة إنّه الغلوّ بعينه ولولا انّنا نخشى ان نشذ ونبتعد عن موضوعنا لسردنا أدلّتهم التي يدعون انّها لا تدحض مطلقاً، والبكتاشيون يضمرون البغض للخلفاء الثلاثة الأوائل «أبو بكر وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفّان» ويجلون الأئمة الاثني عشر تبجيلاً عظيماً سيّما الإمام جعفر الصادق، بيد ان الشيء المدهش الغريب في بابه ان يكون لهم من العوائد والرسوم ما هو عين العوائد والرسوم الموجودة في المسيحيّة. فعقيدة التثليث موجودة لديهم «فالله ومحمد وعلي»، تقوم مقام «الأب والابن والروح القدس» وكذلك فان عندهم إحتفال العشاء السرّي الرباني، يسشربون به النبيذ والخبز وقد يشربون ويكرعون الدنان من الخبز حتى يترنّحون سكراً، وعندهم من المسيحيّة «الاعتراف». فالبكتاشي اذا أخطأ أو ارتكب اثماً هرع إلى «البابا» واعترف له بما ارتكبه وتلقّى منه المغفرة... ويرأس هذه الطريقة البير الأعظم يقطن التكية الأصلية عند حاجي بكتاش بين قير شهر وقيسارية في الأناضول، ولكل تكية شيخ يسمّى «بابا» وقد حصل لهذه الطريقة من الاقبال والسعد بحيث انخرط في سلكها كثير من امراء المؤمنين العثمانيين غير أن بعض رجال الطريقة وبعض المنتسبين إلى «الاوجاغ» أساء التصرّف وتدخلوا في عهد

السلطان محمود الثاني[31] فيما لا يجوز التّدخل به فثار بهم وازال دولتهم وهدم تكاياهم ونفى بعض شيوخهم وقتل آخرين منهم. غير انّها عادت بعد هذه النكبة واستعادت عزّها فازدهرت مرّة أخرى إلى ان قضى عليها أتاتورك[32] قضاءً مبرماً فاجتث جذورها من البلاد التركية.

***

والعقيدة البكتاشيّة ظاهرها الإسلام وفي الحقيقة انّها متكوّنة من مجموعة عقائد لها صلة وثيقة بأمور ليست في الإسلام في شيء، فصلتها بالمسيحيّة واضحة من التثليث وإباحة شرب الخمر والاعتراف والمنتسبون اليها غلاة يتعبّدون عليّاً فيرفعونه إلى مقام الألوهية وهم شديدو الاهمال كثيرو التهاون في الفرائض الإسلامية كالصوم والصلاة والحج والزكاة والجهاد وقد يتظاهر

31 محمود الثاني، سلطان عثماني. ولد سنة ١٧٨٤. مكث في السلطة من سنة ١٨٠٨ إلى سنة ١٨٣٩. قاوم التوّسع الروسي عن بسّاربيا وعقدت لذلك معاهدة بخارست عام ١٨١٢. في عهده استقل اليونان عام ١٨٣٠. هزم محمد علي جيشه بالقرب من نصيبين عام ١٨٣٩. امر بقتل الانكشارية عام ١٨٢٦.

32 أتاتورك (مصطفى كمال) (١٨٨١-١٩٣٨) ولد في سلانيك. قائد تركي زعيم الحزب الوطني ومؤسس الجمهورية التركية وأوّل رئيس لها عام ١٩٢٣ أجرى اصلاحات عظيمة من أعمقها تأثيراً في الحقل الديني والاجتماعي والثقافي واستعمال الأبجدية اللاتينيّة عوض العربيّة، في الكتابة التركيّة وعلمنة الدولة. لقب بـ «أتاتورك» أي أبو الأتراك.

الدراويش بالصوم والصلاة غير مدفوعين بصحّة ضرورتها وانّما يفعلون ذلك تقيّة واسكاتاً للألسنة التي تلوك ثلبهم وانتقاصهم.

وقد بان جليّاً من تدقيق عقائد البكتاشيّة ورسومها وأوابدها.

إن الشبك يدينون بعقيدة البكتاشيّة وهذه أوجه الشبه نسردها كما هي:

١) البكتاشيّة طريقة صوفيّة لا يتيسّر الانخراط في ملكها الاّ بعد قضي مدّة التجربة وهي الف يوم ويوم.

٢) البكتاشية تتهاون بإداء الفرائض كالصوم والصلاة والزكاة والجهاد.

٣) البكتاشي لا يتحرّج في شرب الخمرة، فالخمرة مباحة.

٤) البكتاشي يعترف عند «البابا» أو «البير» بما ارتكبه من آثام وجرائم ويتلقّى منه المغفرة.

٥) البكتاشي يغالي في الإمام علي ويرفعه إلى الألوهيّة.

فيقابل ذلك عند الشبك بين العقائد والرسوم:

١) الشبك طريقة صوفيّة وللانخراط في سلكها مراسيم خاصة.

٢) والشبكي لا يصوم ولا يصلّي ولا يحجّ ولا يؤدي أي فرض من هذه الفرائض التي لا يجوز لمسلم ان لا يصدع بها ويكتفي بزيارة مشاهد الأئمّة.

٣) الشبكي يشرب الخمرة كما يشربها البكتاشي وهي عند الشبكي جزء من رسومه بل هي أساس تعبّده.

٤) الشبكي يعترف بخطاياه وآثامه عند «البابا» أو «البير» فيحلّه من خطاياه.

٥) الشبكي يغالي في الإمام علي كما يغالي البكتاشي وعنده التثليث كما عند البكتاشي ففي اجتماعات الشبك جميعها تتكرّر لفظه. **الف** الله، **ميم** محمد، **عين** علي تكراراً مستديماً مستمرّاً متواليّاً غير منقطع في جميع اذكارهم وأورادهم وادعيتهم[33].

***

هناك في أدعية الشبك في احتفالاتهم التي تجري على اسان «البير» البابا النص التالي في أكثر اجتماعاتهم وهو «حاجي بكتاش ولي. قزل بيرلري. اردبيل أو غالري». وتعني: « البابا - أو البير- يطلب المدد من الحاج بكتاش ولي وشيوخ القزل - أي القزلباشية. والواصلين من أردبيل الزلباش أنفسهم...».

والقزلباشية في بدئ نشأتها كانت تسمّى بـ «الصفوية» نسبة إلى قطب الأقطاب صفي الدين اسحق الاردبيلي المتوفي في ١٢ محرّم سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م[34] وهو الجد السادس للشاه اسماعيل

---

33 راجع كتاب أحمد حامد الصرّاف، الشبك ص ٤٦-٤٨

34 على حدّ رواية الشيخ البهائي في توضيح المقاصد وقد ذكر الاستاذ عبّاس العزاوي انّه توفي سنة ٧٣٥هـ ودفن في دار الإرشاد في أردبيل.

الصفوي[35]. وقد سمّيت «بالقزلباشية» في عهد الشاه اسماعيل الصفوي حينما التفّت حوله قبائل اساجلو، وشاملو، وبنكالو، وبهارلو، وذو القدر، وفجر، وافشار، فالبسهم الطرابيش الحمراء فسمّوه القزلباش. و«القزل» هو الأحمر بالتركيّة. و«الباش» الرأس، فيفهم من هذا ان الصفوية تبدّل اسمها فصارت قزلباشية بعد مرور عصرين، لأن مؤسس الطريقة الصفوية وهو الشيخ صفي الدين توفي سنة ٧٣٠هـ/١٣٢٩م. وقد جلس الشاه اسماعيل على أريكة الملك سنة ٩٠٦هـ/١٥٠٠م وتوفي سنة ٩٣٠هـ/ ١٥٢٢م. فتكون المدّة بين مؤسس الصفوية وحفيده ٢٠٠ سنة.

***

اتّفق جميع المترجمين للحاج بكتاش ولي والشيخ صفي الدين على ان الرجلين كانا من العبّاد الزهّاد المشهورين ومن أتقى المسلمين سريرة في عصرهما وقد اشتهروا بالصلاح والتقوى والفضل. واذا لاحظنا ان الحاج بكتاش توفي سنة ٧٣٨هـ/

35 إسماعيل الصفوي (١٤٨٧-١٥٢٤) ولد في اردبيل وتوفي فيها. مؤسس الدولة الصفوية في ايران ينتسب إلى الإمام موسى الكاظم. قبض على زمام الأمر في حالة فوضى فاستنجد بقبائل الأتراك وإستولى على اذربيجان وفارس بعد ان انتصر على الوند سلطان آلاق قوينلو. تلقّب بالشاه عام ١٥٠٣. وسع ممتلكاته إلى هراة شرقاً وبغداد جنوباً وفرض سيادته على كربلاء والنجف ونشر مذهب الشيعة. إصطدم بالعثمانيين فكسروه في معركة جالديران عام ١٥١٤.

١٣٢٧م، والشيخ صفي الدين توفي سنة ٧٣٥ هـ/١٣٢٤م. نفهم ان الزاهدين الصوفيين كانا متعاصرين وانّهما أسسا طريقتيهما في زمن واحد. كذلك لا نتردد ان نسجّل انّنا لم نعثر لا في المؤلفات التركية ولا في المؤلفات الفارسية على أية رواية تنص على ان الحاج بكتاش ولي مؤسس الطريقة البكتاشية والشيخ صفي الدين مؤسس الطريقة الصفوية كانا من ذوي البدع المغالين بل بالعكس تجد الثناء عليهما وعلى ورعهما وسلوكهما واستقامتهما كثيراً فلقد لقب الحاج بكتاش «الولي» كما لقب الشيخ صفي الدين «بقطب الأقطاب». واللقب الأخير من أعلى الدرجات والمراتب عند الصفوية. واللقبان دليلان صريحان على قدسية الشيخين عند معاصريهما بلا منازع... فبالنظر لما تقدّم من بحثنا نتمكّن من الوصول إلى النتائج الآتية:

أولاً: لم يكن في البكتاشية والصفوية منذ تأسيسهما أي شيء من الغلوّ.

ثانياً: ان الحاج بكتاش ولي والشيخ صفي الدين براء ممّا في الطريقتين من البدع والترهات والسخافات.

ثالثاً: ان تاريخ البدع التي تسرّبت إلى الطريقتين مجهول.

رابعاً: لا يوجد نص في جميع المؤلفات التي تعرهضت للقزلباشية بأنّها تحلل شرب الخمرة وتهمل الفرائض وتدين بطريقة الاعتراف لنيل الغفران كالبكتاشية.

خامساً: ليس في كتاب «المناقب» ما يشم منه رائحة الزيغ والضلال.

سادساً: ان الشبك أقرب إلى البكتاشيّة منها إلى القزلباشيّة.

سابعاً: صلة الشبك بالقزلباشيّة هي وجود كتاب «المناقب» فقط.

٧- الاعداد المقدسة

من خلال دراسة عقائد الشبك، إن للاعداد اهميّة خاصة في الاجتماعات التي تعقد للتعبّد. فالبابا الكبير «البير» يكثر من الالتماس والاستعانة في اذكاره واوراده باعداد لا تتجاوز السبعة. وهذه الاعداد «قرقلر» الاربعون «اوندرتلر» الاربعة عشر «اون آيلير» الاثني عشر «بديلر» السبعة «بشلر» الخمسة «أوجلر» الثلاثة... ولكي يكون القارئ على علم من علة استغاثة «البابا» بهذه الاعداد، لا بد من شرحها وتفصيلها...

قرقلر:

الأربعون وهم «الابدال» «الواصلون» وباصطلاح البكتاشية «ايرنلر» فللشبك عقيدة خاصة بالأربعين وملخصها: ان الابدال يجتمعون في كهف في جبل سنجار[36] في كل ليلة جمعة واثنين. وراس الابدال الإمام علي ولا يعرف من اسماء الإبدال الأربعين الاّ إسم سلمان الفارسي[37]. وقد جاء رسول الله تنزّهت

---

36 جبل سنجار: كتلة صخرية في شمال العراق بالقرب من الحدود السورية تشرف على مدينة سنجار ارتفاعه ١٢٠٠ متر.

37 سلمان الفارسي، من صحابة الرسول، وهو الذي اشار عليه للاعتصام داخل المدينة المنورة يوم معركة الخندق أو الاحزاب وسلمان باك ناحية في العراق في محافظة بغداد. دفن فيها سلمان الفارسي بالقرب منها طاق كسرى.

ذاته الكريمة، وطرق الباب فقيل له: من أنت؟ قال: أنا رسول الله فلم يفتح له الباب. ثمّ أعاد الكرّة وطرق الباب، فقيل له: من أنت؟ قال: انا محمد. فلم يفتح له الباب. ثمّ أعاد الكرّة وطرق الباب فقيل من أنت؟ قال أنا رسول الله فلم يفتح له الباب. فرجع ثالثة وطرق الباب فقيل له: من أنت؟ قال: أنا فقير الفقراء، فأمر علي سلمان الفارسي ان يفتح له الباب. ففتحها سلمان فرأى الرسول تسعة وثلاثين شخصاً هم «الابدال» وفي الحال انفجر الدم من عضد كل واحد منهم. فقال: يا محمد ارضيت عن طريقتنا؟ فاجابه: نعم. فصار محمد الرسول جلّ قدره من الأربعين...

رواية أخرى عن «الأربعين»:

وتوجد رواية أخرى تدور على السنة الشبك، وملخّصها ان الرسول محمد عرج إلى السماء ومعه جبرائيل وقد رأى في السماء الأولى آدم وابراهيم ويوسف وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء ولما وصل إلى الرفيق الأعلى رأى أسداً عظيماً، فخاف محمد منه، فتقدّم الأسد اليه فاغزاً فاه فرمى محمد خاتمه في فمه، فرجع الأسد القهقري وعندما نزل الرسول واجتمع بالابدال الأربعين. رأى خاتمه في يد الإمام علي فعلم ان عليا كان الأسد الذي اعترضه في السماء لذلك سمّى الامام بلقب «اسد الله».

والابدال عددهم أربعون وهؤلاء لا يعرفهم الناس ولا يرونهم، لأنهم «رجال الغيب» أو «رجال الله» أو «جند الله» وان الله منحهم قوة، وزودهم قدرة على حفظ نظام الدنيا وفي مقدّمة

ذلك إغاثة الملهوف ومعاونة المظلوم، ولذلك ففي إمكانهم ان يطووا الأرض طيّاً بأسرع من البرق الخاطف والابدال هذه بعض الطرق هم الأصل وعند البعض هم الطبقة الخامسة في نظام التصوّف المبتدئ بالقطب الأعظم فالامامان ثمّ خمسة أوتاد فسبعة أفراد ثم طبقة الابدال فسبعون من النجباء وثلثمائة من النقباء فالعصائب وقدرهم خمسمائة فالحكماء وعددهم غير محدود، فالرحبيون.

أون درتلر:

الأربعة عشر وهم الأئمّة. والأثنا عشر يضاف اليهم اسم الرسول محمد، واسم ابنته فاطمة الزهراء. وقد لاحظت في جميع ادعية النعمة الالهيّة والكونابادية والذهبية والصفائية والأوجاعية والخاكسارية. لفظة «جهارده معصوم» وعند هذه الطرق ان الائمّة معصومون موهوبون مزوّدون بالعلم اللدني.

أون ايكلير:

الاثنا عشر وهم الائمة وأوّلهم الامام علي وآخرهم الإمام الغائب محمد المهدي. والطريقة النعمة الالهيّة والكونابادية والذهبية والصفائيّة والاوجاعيّة صلوات على الائمة الاثني عشر تسمّى «الصلوات الكبرى» وهذا نصّها:

«اللهم صلّ على المصطفى محمد والمرتضى علي والبتول فاطمة والسبطين الامامين الحسن والحسين. وصلّ على زين

العابدين علي والباقر محمد والصادق جعفر والكاظم موسى والرضا علي والتقي محمد والنقي علي والزكي العسكري حسن. وصلّ على محمد المهدي صاحب الأمر والعصر والزمان وخليفة الرحمن وامام الانس والجان عجّل الله فرجه...».

يلاحظ ان عدد الاثني عشر من الاعداد المقدّسة لدى الطرق التي ذكرناها لأنها ترمز إلى الاسباط الاثني عشر والبروج الاثني عشر، والائمة الاثني عشر.

يديلر:

السبعة، ويرمز هذا العدد إلى درجات ومراتب أهل الطرق، كما يرمز إلى المراحل التي تبتدئ بالطلب وتنتهي بالفناء.

أمّا **درجات ومراتب** أهل الطرق خاصة الخاكساريه، أي الرمادية أو الترابيّة فهي كما يلي:

١- **منتسب:** والمنتسب هو الشخص الذي لم ينخرط في سلك الطريقة، الاّ انّه يبدي حبّه ويظهر اعجابه.

٢- **المريد:** وهو الذي اكمل دور الرياضة النفسية (الروحية) وهي الخلوة ومحاسبة النفس، والصوم والصلاة ويكون في الغالب فتى يافعاً يدربه أحد الدراويش المرشدين على الطاعة لكبح جماح النفس.-الإمارة بالسوء-. وهو أول هدف من أهداف الطرق وقد قيل في أدب تدريب المريد كثير من النصائح.

٣- **«الدرويش»** وهو الشخص الذي قضى مدة التجربة وخدم في «الخانقاه» وسلك سلوكاً حسناً فعرف بالتقوى والورع وصدف من شهوات الحياة وملذّات الدنيا. فقيل في ادبه: «يجب ان يكون للدرويش ذوق وطلب وعلم وورع وحال وأدب، ويجب ان ينبذ راحة الوجود وان يألف الرياضة (الروحية) أو الخلوة والتعب[38].

٤- **«المرشد»** وهو شيخ «الخانقاه» أي التكية أو الرباط وهو الشيخ الاكبر للدراويش وفي يده الحلّ والعقد ومن الواجبات عليه ان يترأس حلقات الذكر في ليالي الجمعة ويقيم التعازي وينظم المأتم في العشرة الأولى من المحرّم والعشرين من صفر كذلك يقيم المناحات في ذكرى وفاة كل إمام من الأئمة الاثني عشر. والمرشد مقام كبير عند الباكتاشية ويسمّى «البير- بابا» وله ان يستمع إلى اعتراف الدراويش بآثامهم وخطاياهم فيحلّهم من الخطأ. و«البير- بابا» هو كل شيء عند الشبك يعاقب ويغفر ويحلل ويحرّم وله السلطان الأعلى[39].

٥- **«القلندر»** وهو أكبر مقاماً من المرشد ويصفه الدروايش بانّه الشخص المحرّر من قيود التكاليف والرسوم البعيد عن الأماني والآمال في الحياة، المنزّه عن ظواهر العبادة الاميّة، الطالب لجمال الحق وجلاله، الواصل إلى المفوّضات السنيّة من

38 أحمد الصراف، المصدر نفسه، ص ٥٣.
39 أحمد الصراف، المصدر نفسه، ص ٥٣

لدن الأحد المطلق الذي لا يركن إلى الكون واهله المضرورين، الطالب الكمال، المخرب للعادات في التجريد والتفريد، المتوخي في العبادات القصد وصدق الأعمال وهو صديق لكل طائفة وبه يقتدى وعلى اثره يقتفى وبه يضرب المثل. وهذا نصّه المعرّب عن الشبكية: «كن قلندري الصفة، صوفي المظهر والمشرب، معروفاً لدى اثنتين وسبعين فرقة»[40].

٦- **«الرِند»** بكسر الراء، وهو أعلى مرتبة من القلندر ويمتاز بعدم المبالاة والاهتمام بالعرف والعادات وكثيراً ما تكون سيرته وأعماله هدفاً للنقد، وأما قلبه فطاهر صاف كالمرأة الصقيلة وظاهره لا يخلو من لوم. والخلاصة انّه الشخص الذي جمع صفات شتّي تدور بين العقل والخلاعة وقد قيل فيه:

«العدو أفضل من صديق لا وفاء له، والحديد أفضل من الفضة القليلة الثمن ومن آكل الملح وكسر المملحة، فالكلب أفضل منه في مذهب «الرندان».

وقيل فيه: «حيارى وسكارى وخلعاء وفسّاق النظر، وأي إمرئ في المدينة ليس على هذه الشاكلة»[41].

٧- «القطب»: لا يكون الاّ واحداً ولا يبايع غيره ما دام حيّاً ويسمّى «ستاره حكمت» أي نجم الحكمة ويسمّى أيضاً

40 أحمد صرّاف، المصدر نفسه، ص ٥٤.
41 أحمد صرّاف، المصدر نفسه، ص ٥٤.

«بيربيران» أي شيخ الشيوخ. والدروايش يتبرّكون به ويعتقدون فيه الكرامات ويرون فيه كشاف الأسرار وصاحب الإرشاد والهداية وقد قيل فيه ما تعريبه: «يا شيخي وهداي، يا دليلي ومرشدي، بك وصلت إلى الحق ايّها الحق الذي أراني الحق»[42].

ان الرقم سبعة يرمز إلى درجات التصوّف، كما يرمز إلى المراحل الصوفيّة، فالمراحل السبع هي:

١) مرحلة الطلب

٢) مرحلة العشق

٣) مرحلة المعرفة بالله

٤) مرحلة الزهد والترك

٥) مرحلة الوحدة

٦) مرحلة التحيّر

---

42 أحمد صرّاف، المصدر نفسه، ص ٥٥.

وفي الطريقة الابراهيميّة، يعتبر العدد السابع والعدد الثاني والسبعين من أشرف الاعداد واقدسها ويسمّى رأس السبعة «سلطان» كما يسمّى الاثنان والسبعين «غالامان» أي خدام ورئيس هذه الطريقة ومرشدها السيّد محمد يونس نائب تلعفر. وقد تحدّث عنه السيّد أحمد حامد الصرّاف في كتابه «الشبك» انظر كتابه ص ٥٥.

٧) مرحلة الفقر والفناء في الله

وممّا يسترعي الانتباه انّنا نرى العدد السّابع المقدّس الذي صار مراتب التصوّف هو العدد يعينه لمراتب نظام الباطنية المبتدئ.

١) شيخ الجبل

٢) الدعاة

٣) الرسل

٤) الرفاق

٥) الفدائيون

٦) المبتدئون

٧) العامة[43]

علماً ان الرقم سبعة، هو رقم مقدّس في الديانات القديمة ومنها العبرانيّة اليهودية، ومقبول في المسيحيّة[44].

«**بشلر**» الخمسة وهم: الرسول وعلي وفاطمة والحسن والحسين ويسمّون باصحاب الكساء واهل العبا وآل العبا... وفي

43 راجع الملل والنحل للشهر ستاني ص ٣٧٢

44 لقد جمعنا مجلّداً ضخماً عن الرقم سبعة في الحضارات القديمة الشرقية منها والغربية ومنها المسيحية. كالأسرار السبعة، ووصايا الكنيسة السبعة. وطبقات السماء السبع، وطبقات الجحيم السبع وغيرها الكثير الكثير.

كتب الفِرَق نص على ان فرقة من اصحاب العلياء بن ذراع الدوسي كانت تقول بالهية اصحاب الكساء.. وفي زعم هذه الفرقة ان خمستهم شيء واحد و«الروح» حالّة فيهم سوية لا فضل لواحد منهم على الآخر وكرهوا ان يقولوا «فاطمة» بالتأنيث، بل قالوا: «فاطم» بلا تاء مربوطة.

وعند الغلاة وجميع طرق التصوّف في ايران يعتقد ان الخمسة أصحاب الكساء، هم علّة الايجاد وسبب التكوين وبرّ الوجود وانّهم الشموس السّاطعة والأقمار المنيرة، وهم الرزق والبركة والشقاء والغوث. وفي ايران اذا قال احدهم: «بحق يجنن آل عبا» أي حق الخمسة آل العبا، كان ذلك القسم العظيم.

توليت بعد الله في الدين خمسة

نبياً وسبطيه وشيخاً وفاطماً[45]

«أوجلر»

الثلاثة وهم الله ومحمد وعلي. وفي جميع اذكار الشبك وأورادهم في حفلاتهم واجتماعاتهم يرد ذكر الثلاثة على هذا النمط: ألف الله **م** محمد **ع** علي. كذلك يرد ذكر الثلاثة على هذا الترتيب في جميع طرق التصوّف الايرانيّة[46].

---

45 احمد حامد الصراف، الشبك، ص ٥٦

46 احمد حامد الصراف، المصدر نفسه، ص ٥٧

٨ـ الغلوّ، معناه وصفاته واهدافه

ان الغلوّ تسرّب في التصوّف، وتغلغل في التكايا والربط والخانقاهات، ومنها الطريقة البكتاشيّة التي كانت إبان تأسيسها منزّهة عن كل شائبة، وكذلك الصفوية. ويبدو لنا ان الغلوّ انتشر بين دراويش البكتاشيّة والصفوية بعد وفاة شيخيها المرشدين بزمن ما زال مجهولاً لا يمكننا الاهتداء اليه، وقد ذهبت طرق التصوّف مذاهب شتّى. فبعضها مال إلى الحلول والتناسخ. وبعضها أخذ بمذهب وحدة الوجود، وبقي البعض نقيّاً ليس فيه ما يبعده عن الشريعة ويقرّبه إلى الزيغ والمروق، ومثل هذه الطرق معروفة بسلوكها الجميل وارشادها القويم، كالقادرية والرفاعية والسهروردية والشاذلية والخلوتيّة والنقشبندية والمرغنية والغنيميّة وغيرهم.

الخلاصة:

فانّه لم يخل عصر من العصور الاّ فيه فرقة تقول بالغلوّ. وكان القرن الثالث عشر الهجري آخر القرون التي ظهرت فيه هذه النعرات، فقد ولدت فيه فرقتان غاليتان، الأولى تسمّى «الشيخيّة» نسبة إلى زعيمها الشيخ أحمد زين الدين الاحسائي وهو ممّن لا يشك ابداً في انّه من الغلاة في القرن الثالث عشر

الهجري، وقد الّف كتباً شحنها بالعجائب والترهات، وقد تبرّأت منه الشيعة الإماميّة الأصوليّة الاثني عشرية برغم إطراء البعض له[47].

فمن عجائبه التي ابتدعها انه زعم ان عليّاً خلق «مروان بن الحكم» فقد روى حديثاً في الرسالة القطيفيّة عن جابر بن عبدالله هذه عبارته: ان مروان بن الحكم صعد في خلافته على منبر رسول الله -ص- وخطب وسب عليّاً عليه السلام فخرجت من القبر الشريف يد كل من حضر عرف انّها يد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم مكتوب عليها يا عدو الله كفرت بالذي خلقك من تراب ثمّ من نطفة ثمّ سواك رجلاً هو والله عليّ بن أبي طالب أمير المؤنين. وقد ولدت هذه الفرقة فرقة أخرى سميّت «بالكشفية» وهي تنتسب إلى السيّد كاظم الرشتي تلميذ زين الدين الاحسائي فكان هذا اشدّ غلوا من استاذه. ولعلّه يكفي في التدليل على ما تدعيه هذه الفرقة من كتابه شرح القصيدة، قال:

«ومحمد ظهر بالنبوة والنبوّة ظاهر الولاية وعلي ظاهر الولاية الظاهرة بالنبوّة. ولذا كان جبرائيل إذا أراد ان يأتي النبي صلّى الله عليه وسلّم ما أتيته الاّ بأمر علي واذنه[48]».

---

47 إمراء الخونساوي صاحب روضات الجنان. راجع كتاب «الشبك» للصرّاف ص ٥٨

48 احمد حامد الصراف، الشبك، ص ٥٨

معنى الغلوّ

يظهر لمن يتأمّل مقالات فرق الغلاة على اختلاف أنواعها وأزمانها ان الغلوّ يرمي في معناه العلمي إلى الصاق صفة الألوهيّة بالإمام علي وخلع صفات الله واسمائه الحسنى عليه ونعته بالنعوت التي لا تطلق الاّ على ربّ الأرباب....

والغلوّ بدأ إبان ظهوره بسيطاً ساذجاً لا يخرج من كونه «عقيدة» متوّلدة من «إيمان» وقولاً مجرّداً من كل صفة علميّة أو فلسفيّة فهو إذاً مجرّد «دعوى» لا تستند إلى قواعد علميّة قائمة على ادلّة وبراهين بيد انّه أصبح في القرن الثالث بمقتضى طبيعته وهدفه بين مذهبين فلسفيين مشهورين معروفين عند الهنود واليونان فكان تارة يميل إلى «التناسخ» المحض وتارة يجنّح إلى «الحلول». وعندما طلعت الباطنيّة إلى عالم الوجود في الإسلام وكان الحلول شعارها وعنوان ايمانها ومن ثمّ غمر الحلول عالم التصوّف الإسلامي فمشى في التكايا والخانقاهات كتمشّي السمّ في المفاصل والأوردة. بيد انّه أخذ يتستّر بالألفاظ فاستعاض عن «الروح» بـ «النور» وعن «القوّة» بـ «النفثة» وعن «القدرة بـ «النفحة» إلى غير ذلك من التعابير إيهاماً للناس وتخلّصاً من اللوم والنقد بل من التكفير... واخيراً ادخل رأي الحلول في قوالب جميلة من الشعر فأخرج غناءً رائعاً في قصائد ومقاطع يعلوها الغلوّ وهو الحلول بعينه. وقد برزت معاني الحلول سافرة في قصائد الحلوليين ومضامينه مجلوة كالعروس تختال بين الأوزان

والقوافي بابرادها وحلّيها. وبعد كل هذا وذاك صار هذا النّوع من الشّعر شعار التكايا وزاد الدراويش خاصّة تكايا الطرق الصوفيّة عند الايرانيين.

والحلول كما هو معلوم بدعة ليست من الإسلام في شيء . وقد نشأت هذه العقيدة عند الهنود واليونان. وقد ظهرت بأجلى مظاهرها وأقوى معانيها في المسيحيّة. والايمان بعقيدة الحلول خروج على الدّين الإسلامي الذي جاء بعقيدة «التّنزيه» وقد صرح به مرّات ثمّ مرّات في مختلف السور والآيات، فردّ على «التثليث» ردّاً صريحاً طاعناً في عقيدة «الحلول» متنصّلاً متبرّءاً منه، وهدفه من ذلك إفراد الخالق الواحد: «قل هو الله أحد، الله الصمد...».

ومع هذا صرّح في بعض سوره القرآن بأن روح الله حلّت في عيسى بن مريم، وان الله نفخ من روحه في مريم العذراء فولدت عيسى المسيح. وممّا لا شك فيه هو ان مذهب «الحلول» المتمثّل في عقيدة «التثليث» المسيحيّة من المذاهب التي انتشرت في الإسلام، فالغلاة حلوليّون يقولون ان روح الإله حلّت في الإمام علي ثمّ انتقلت إلى ذريته... واكثر أرباب الطرق من الحلوليّة... وقد تأثروا تأثّراً بليغاً بشخصيتين حلوليتين هما أبو الغيث الحسين بن منصور الحلاج[49]... وجلال الدين الرومي[50] مؤسس المولوية.

---

49 الحلاّج (الحسين بن منصور) (نحو ٨٥٨-٩٢٢). ولد في الطور قرب

الدخول إلى الطريقة الصوفيّة

كل من أراد الدخول في الطريقة الصوفيّة ليسمّى «صوفيّاً» يجب عليه أن يفتّش عن شخص آخر ليعاشره ويصاحبه هو وزوجته ليكونوا أربعة مدّة أربعين يوماً أو سبعين يوماً حتّى يكونوا مصداقاً للقول الصادر من الشيخ صافي: «الروح واحد والجسد واحد، الأربعة واحد، والواحد سرّ».

وخلال هذه المدّة المسمّاة «مدّة التجربة» يختلط الرجل وزوجته مع الرجل الآخر الذي يريد ان يكون صوفيّاً وزوجته فيأكلون معاً ويصلّون معاً. وبعد انتهاء هذه المدّة يأتون إلى البير «البابا» ومعهم خروف لا يقل عمره عن ثلاث سنوات ويجوز أن

البيضاء في بلاد فارس. وتوّفي في بغداد. عالم وصوفي. قضى السنوات في خلوات الصوفيّة لاسيّما مع التستري وجنيد. ثمّ طاف البلدان داعياً إلى الزّهد. اتّهم بالزندقة والقول بالحلوليّة فحكم عليه بالسجن ثماني سنوات في بغداد ثمّ عذّب وصلب. انشأ الحلاج مذهباً في الفقه وعلم الكلام والتصوّف، وأثار حوله الجدل، قدّسه البعض وكفّره غيرهم. مؤلفاته باللغة العربية. لم يبق منها الاّ «كتاب الطواسين» طبعه ماسينيون في باريس عام ١٩١٣.

50 الرومي (جلال الدين) (١٢٠٧-١٢٧٣) ولد في بلخ بايران. وتوفي في قونية ودفن فيها. شاعر متصوّف فارسي. تعلّم على أبيه بهاء الدين خليفة الشيخ نجم الدين كبرى. سافر إلى بغداد ومكّة ودمشق وملطية وحطّ أخيراً في قونية حيث تعرّف إلى شمس الدين التبريزي. أسّس الطريقة المولوية. له «المثنوي» وهو ديوان يضمّ نحو ٢٠٠٠٠ بيت من الشعر يعد أهمّ كتاب في التصوّف الايراني.

يتجاوز عمره الثلاث على ان لا تكون فيه عاهة في أحد أعضائه من عين أو أذن أو فم أو غير ذلك...

ويعقرون عدا ذلك اربعين قنينة من الخمر ويجوز اكثر من ذلك، ولا يجوز ان يقل عن الأربعين، فيأمر البير بإحضار أربعين زوجاً من الصوفيّة «أي ثمانين صوفيّاً» ويأتي أيضاً بثور فيذبحونه فيأكل منه أهل القرية، ولا يجوز أن يأكل أحد من لحم الخروف الاّ الصوفيّة فإن لهم ذلك. وقد حظر الشيخ صافي على سائر النّاس ان يأكلوا من لحم الخروف حين قال: «من أكل من هذا اللحم فكأنّما أكل من لحم الحسين».

ثمّ يجلس البير في صدر الحجرة ويجلس حوله ثمانون صوفيّاً، ويأتي الرجل وزوجته والآخر وزوجته ومعهم خمر ولبن وعسل فيضعونها في قدح كبيرة مع أربعة أقداح صغيرة فيقف الروح والآخر الجسد وتقف زوجة «الجسد بجانب الروح» وزوجة «الروح بجانب الجسد» فيقوم البير ويملأ الأقداح ويسلّمها إلى «الرهبر» الذي يسلّمها إلى الأربعة فيقول البير ثلاث مرّات:

«ليكن نور للشارب دليلاً للساقي».

وهذا الاحتفال الأوّل يسمّى «إقرار طولوسي» أي الإقرار التّام. فيقال:

«من رجع عن اقراره كان منافقاً، أو كان يزيد بن معاوية، وكان....».

ولا يتم هذا الاجتماع الاّ ان يكون الكبش معهم داخل الحجرة، ثمّ يأمرهم البير ان يبطحوا على الأرض فينبطحون على الوجه الآتي: الروح وبجانبه زوجة الجسد، والجسد بجانبه زوجة الروح. ويأتون بلحاف فيغطّون الأربعة. ويأمر «البير» الرهبر ان «يحمل عصا الأركان». فيقف الرهبر على رؤوسهم ويحمل عصا «اركان اغاجى» فيبتدئ «البير» بالقراءة ثلاث قصائد وفي آخر كل واحدة يمسح على ظهورهم وعند الانتهاء من كل قصيدة يضرب «الرهبر» عصا الأركان على ظهورهم قائلاً: «**الف** الله **ميم** محمد **عين** علي». ثمّ يزحف الروح وراء زوجة الجسد، ثمّ الجسد وراء زوجة الروح، زحفاً ويقبّلون جميع الجالسين في الحجرة من الصوفيين ثمّ يقوم «البير» والرهبر والأربعة وجميع الصوفيّة على أقدامهم فيقرأ عند ذلك «الكلبنك».

وبعد انتهاء الدعاء يسجد الجميع ثلاث مرّات ويقبّلون الأرض ويقولون: «**الف** الله **ميم** محمد، **عين** علي» وبعد السجود يمسحون صدورهم ويقولون «الحق حبيب والشيخ حبيب السلطان وهو الحق وللباطل آف».

ثمّ يمسك «الرهبر» أركان أغاجي فيتقدّم «البير» ويسجد للعصا ثمّ يقبّل العصا من طرفيها ووسطها ثمّ يعتنق الرهبر فيضع رأسه في صدره وعند ذلك يمسح الرهبر بالعصا على ظهره ثلاث مرّات ويفعل ذلك بجميع الحاضرين.

ثمّ يقف الروح والجسد والزوجان مقابل «البير» فيقرأ:

«ليكن حجاً للآتين، ليكن هذا المكان معراجاً ولنكن نذورهم ومطاليبهم واصلة إلى الحق».

وبعد ذلك يذبحون الخروف في حفرة حفروها في الحجرة وكذلك يذبحون الثّور فيأكل أهل القرية من لحم الثّور ويأكل الصوفيّون الخروف ويشربون الخمر.

ويقرأ «البير» هذه القصيدة في اثناء الاحتفال و معناها:

لقد طفت في الأقاليم السبعة والزوايا الأربع فلم أرَ عالياً غير علي. هو الذي خلق ثمانية عشر الف دنيا وهوقادر غني على اعطاء الرزق اسمه الواحد علي واسمه الاخر الله مع الحمد والشكر لله. ديننا قوي والله بالله انا لم أر عالياً غير علي لم يأتِ رجل كعلي في الحياة.

لقد تجلّى الحق بقلمه على اللوح فملأ كل العالم بنوره ترى هل يبقى محروماً من ينادي عليّاً. غصت في أعماق البحر وعددت شعر الثور الأصفر وفرقته وصعدت إلى الأرض ثمّ إلى السماء فلم أرَ عالياً غير علي. ان باب الجنة العالية وجدارها وحجرها من اللؤلؤ والجوهر، كلّها تحت أقدام علي. على رأس الأربعين يا بير السلطان ومن الابدال انّه علي. هكذا قال قلبي ان عليّاً هو الله ومحمّد[51].

---

51 راجع كتاب «الشبك» للاستاذ أحمد حامد الصرّاف ص ١١١

وبعد تلاوة القصيدة التي اثبتناها يأمر «البير» البوّاب ان يفتح باب غرفة البير التي جرى فيها الاحتفال فيدخل سكان القرية الذين كانوا واقفين في باب الدار فيسلمون ويهنئون على الذين نالوا لقب «الصوفي أو الطالب» ويقبّلون يد «البير» ومن ثمّ يشربون الخمر، وعند ذلك يقوم «البير» ويضرب الطنبور ويغني لهم بعض المقاطع باللغة الشبكيّة.

ثم يقف أحدهم ويلف عنقه بقطعة من القماش الاسود. ويجب حينئذٍ على كل من في الدار ان يضع في قطعة القماش بما تجود به يده. وبذلك ينتهي الاحتفال[52].

***

أمّا السيّد زهير كاظم عبود، مؤلف كتاب «الشبك في العراق» فانّه يذكر «العهد ودخول الطريقة» فيذكر هذه الحقيقة بطريقة أخرى مختصرها، يقول:

اللهم صل على جمال محمد، وكمال علي والحسن والحسين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، ثم يقول:

جئت بباب الحق بالشوق سائلاً:

مقرّاً به محمداً وحيدراً (حيدر هو علي بن ابي طالب).

52 قد روى هذه الرواية الاستاذ عبد المنعم الغلامي في كتابه «بقايا الفرق الباطنية»

وطالب بالسر والفيض منهما

ومن الزهراء وشبير (وشبير المقصود علي بن أبي طالب).

ويعنون بهذا القصير شبراً.

ثمّ يقرأ الشيخ على الطالب آية البيعة: «ان الذين يبايعونك إنّما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم فمن نكث وانّما ينكث على نفسه، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً» (الفتح ١٠).

ثمّ يقول الطالب أبياناً من الشعر يعلن بها دخول الطريق ومن هذه الابيات:

وبالحب اسلمت الحشا خادماً لآل العبا (آل العبا يعنون بهم اهل الكساء وهم علي وفاطمة والحسن والحسين والعباس).

وبعد دخول الطالب واقامة الحفل على هذا النحو يسلم الطالب خدمة ما في التكية كان يكون ساقيّاً للقهوة أو فلاحاً أو خادماً للضيوف أو طباخاً.... الخ).

وملاذي هو الحاج بكتاش قطب الأوليا[53].

53 زهير كاظم عبود الشبك في العراق ص ١٣٣

٩ـ آداب الطريقة البكتاشية، وآداب زيارة التكيّة

فرض أرباب الطريقة على المريد أن يغتسل قبل زيارة التكية وان يأخذ معه هدية ولا بد ولو كان ملحاً. فإذا وصل الباب سمّى ولا يجوز ان يطأ العتبة برجله لأنّها مقدّسة ثمّ يلتحق بالخدمة التي تطلب منه، وفي وقت المجلس يجلس حسب مرتبته، ولكل شخص مرتبة والمراتب بالأقدمية.

ثمّ يذهب المريد بعد دخول التكية والاستراحة فيها إلى القبر الموجود في التكيّة. ولزيارة القبر آداب خاصة منها السلام المخصوص، ثمّ العودة بظهره إلى خارج الضريح.

والشيخ في العادة لا يجلس مع المريدين، ولا يزار الاّ اذا صدر الاذن بذلك من الشيخ، ولا يزوره المريد الاّ بصحبة الدرويش المختص. وعلى المريد ان يخلع حذاءه ويدخل مطأطئ الرأس ويقف على بعد خطوات من الشيخ ويقرأ:

وجهك مشكاة وللهدى منارة

وجهك لصورة الحق إشارة

وجهك الحج والعمرة والزيارة

وجهك للطائعين قبلة الإمارة

وجهك القرآن الموجز العبارة[54]

ولا يخفي ان هذا هو عين الفكر الباطني في جعل الدين هو طاعة رجل كما تقول الاسماعيلية «الدين طاعة رجل» وهذه العبودية الكاملة هي عين ما تهدف اليه هذه الطريقة، حيث تجعل معاني الحج والعمرة والزيارة والقرآن بل والله سبحانه وتعالى هو هذا الشيخ الصوفي الباطني.

وبعد ذلك يتقدّم المريد فيقبّل يد الشيخ ثمّ يعود بظهره بضع خطوات ولا يجلس حتّى يأذن له الشيخ بالجلوس. وعند الوقوف أمام الشيخ لا بد من مراعاة ما يلي:

١) ان يضع ابهام القدم اليمنى فوق اليسرى

٢) وضع اليدين على الصدر فوق السرّة

---

54 زهير كاظم عبود، الشبك في العراق، ص ١٣٤.

١٠- مواسم زيارات الائمّة

يقدّس الشبك الائمة الاثني عشر الذين يقدّسهم الشيعة الإمامية ويعدونهم أئمتهم المكرّمين المعصومين فينذرون لهم النذور ويقدّمون بأسمائهم القرابين ويغنون بالقصائد «كلبنك» بمآثرهم وكرامتهم ومعجزاتهم تقرّباً اليهم وطلباً الشفاعة منهم، وللشبك مواسم عامة، ومواسم خاصة لزيارة المراقد والعتبات المقدّسة. ومواسمهم العامّة هي عين مواسم الشيعة الاماميّة: كيوم عاشوراء، وهو اليوم العاشر المحرم الحرام، وفيه استشهد ابو عبدالله الحسين عليه السلام واليوم العشرين من شهر صفر، وهو اليوم الذي اجتمع فيه المتخلّفون عن نصرة الحسين وطافوا حول قبره، واظهروا الندامة والتوبة وتسمية العامة يوم «مرد الرأس» أي يوم عودة رأس الحسين إلى كربلاء على رواية من يروي رأسه الشّريف قد أعيد إلى كربلاء ليدفن مع جثمانه المطهر. واليوم الخامس عشر من شهر رجب وكذلك الخامس عشر من شهر شعبان وهو يوم ذكرى مولد الإمام المهدي الغائب المنتظر[55].

55 أحمد حامد الصرّاف، المصدر نفسه، ص ١١٥

أمّا مواسمهم الخاصة فهي[56]:

١ـ مرقد العباس:

وهو مرقد في قرية العباسية على ضفّة نهر الخوسر قرب مدينة الموصل. ويقصد الشبك في اليومين الأوّل والثّاني من عيدي الأضحى والفطر يتسابقون على ظهور الخيل. والعباس هو أبو الفضل أخو الحسين لأبيه أمّه البنين الاسدية وكان يحمل راية الحسين في وقعة كربلاء وهو مثال الشجاعة والتّضحية والجمال. لذلك فانّه لقب الرائع حسنه بقمر العشيرة وقمر بني هاشم.

٢ـ مرقد حسن فردوش:

وهذا المرقد يقع بالقرب من قرية الدراويش على طريق قرية بعشيقة. ويحترم اليزيديّة هذا المرقد احتراماً كثيراً كما يحترمه الشبك ولذلك تقصده الطائفتان للزيارة في يوم جمعة من جمع أيّام الربيع ويسمّون تلك الجمعة باسم «جمعة الطواف» وعند حضورهم هذا المرقد يجتمع الرجال والنساء معاً فيدبكون على زمر الزامر ودرداب الطبل دبكة فقد تطول ساعات، وقد لا ينقضي هذا الاجتماع الذي يحضره كثير من رجال الموصل وشبابها إلاّ عند غياب الشمس.

---

56 انظر بخصوص المواسم الخاصة والعامّة أحمد حامد الصرّاف، الشبك، ص ١١٥-١١٨

٣- مرقد علي رش:

وهو المرقد الذي في القرية المسمّاة باسمه. ويسمّونه أيضاً زين العابدين. ويعتني الشبك بهذا المرقد عناية خاصة أكثر من عناياتهم بالمزارات الأخرى. فتقصده جماعات كبيرة من هذه الفرقة في اليومين الإأول والثاني من عيدي الفطر والأضحى وكذلك يحصل اجتماع كبير في قرية نينوى لا للصلاة في جامعها انّما لتشكّل أفخم وأكبر دبكة شعبية يشترك فيها جماعات من أبناء الموصل والقرى الشبكية المجاورة لها.

والامام زين العابدين ويلقّب بالسجّاد هو علي بن الحسين وقبره في البقيع في المدينة المنوّرة ويسمّى أيضاً عليل آل البيت، وقد حضر وقعة كربلاء وكان عليلاً لمرض ألمّ به.

٤- رجم قبر عبيدالله بن زياد:

يجتمع كثير من الشبك في موسم الرّبيع في كل سنة في موقع شرق الموصل، وعلى بعد عشرين كيلومتراً منها ليرجموا قبراً يزعمون انّه قبر عبيدالله بن زياد وربّما تكدّست فوقه الاحجار فأصبحت تلاً بسبب الرجم ولا يمرّ مار من أبناء هذه الفرقة الاّ رجمه بحجر ولعنه.

١١ـ عاشوراء

يقيم الشبك المآتم والمناحات في العشرة الأولى من المحرم حزناً على الحسين، ويرتدي فريق منهم السواد ويصومون تسعة أيّام عاشوراء الأولى، وبعد انتهاء اليوم العاشر يحرمون أكل اللحم على أنفسهم مدّة ثلاثين يوماً أخرى. وفي اليوم العاشر يهيّء الموسرون منهم طعاماً لفقرائهم فإذا طلع اليوم العاشر عليهم وقفوا في قراهم أو في المزارات المقدّسة في علي رش وبيرحلاّن صفوفاً رجالاً ونساءً وأطفالاً يلطمون وينوحون ويبكون.

وهنا «البير» يقرأ لهم بالتركمانيّة قصائد بالمناسبة نوردها هنا معرّبة بالمعنى

«لقد تبرأت من يزيد من أعماق روحي، وقد تبرأ قلبي من الخوارج. فجعلت مرآة قلبي صافية، أنا حسيني، حسيني، حسيني».

والحاضرون يلطمون ويردّدون: «حسيني يم حسيني يزيده لعنتم وار».

ويضيف: «الحسين في كربلاء مليكي وهو «الابدال» الذي يقف في ظهري، وعلى الهي الهي، انّي حسيني حسيني حسيني»[57].

---

57 أحمد حامد الصرّاف، المصدر نفسه، ص ١١٧-١١٨

١٢- عادات وتقاليد

للشبك، عادات وتقاليد وأوابد، حالهم حال كل المجتمعات. فمن عاداتهم:

الاعتراف:

في المسيحية أسرار، وأفعال، يرتكز عليها الايمان المسيحي ومن أعجب العجب ان يكون «سرّ الاعتراف» من عوائد الشبك وانّه من الفرائض المحتّمة عليه. ولا يصح للشبكي ان يتقاعس عن البوح بآثامه، والافضاء بجرائره إلى «البير» وفي القصائد «الكلبنك» التي نظّمها شيوخهم نصح وارشاد وتقريع ولوم ووعد ووعيد لكل شبكي بكتم آثامه عن «البير» وممّا جاء في «الكلبنك» ما تعريبه نثراً وليس شعراً:

«الطالب لا يقول لشيخه لا، ولا يفضى بسرّه إلى غيره الطالب الذي لا يفضي سرّه إلى شيخه منافق يهودي خيبري. الطالب الذي يمن على شيخه يكون محروماً من جنّة الله ومن يسلك سلوكاً سيئاً فهو جاهل للمعرفة والحقيقة «يا حقيقي اخدم الشيخ-البير- فانّه بلسم لجرح الكبد».

وقد اقتبس الشبك عادة الاعتراف بالذنوب من البكتاشية، فصارت جزءاً من تعبّدهم. وللشبك «كلبنك» خاص عند الاعتراف بالذنوب، وهذا تعريبه:

«لقد اخطأت فأغفر لي بحق الله ومحمد. اعترف إن إثمي تجاوز الحد فأغفر لي بحق علي المرتضى. لقد دخل الحسن إلى ميدان العشق، فاغفر لي بحق الحسين. اغفر لي بحق زين العابدين والباقر وجعفر الصادق وموسى والكاظم وعلي الرضا. لقد وصلت إلى طريق التقي والنقي فاغفر لي، بحق الحسن العسكري ان الأئمة الاثني عشر من نور واحد فاغفر «لخطابي» بحق المهدي صاحب الزمان[58].

التناول:

والتناول من شعائر الديانة المسيحية وهو فرض لازم على كل مسيحي ويكون عادة بعد الاعتراف. وقد اكّد الانجيل على ان السيّد المسيح تناول طعام العشاء الأخير مع تلاميذه قبيل صلبه وأخذ خبزاً وكسر وناول تلاميذه وناولهم قائلاً: خذوا كلوا هذا هو جسدي، ومن ثمّ تناول الكأس وناول تلاميذه قائلا ً لهم: خذوا اشربوا هذا هو دمي. وهذا السرّ ما تمارسه الكنيسة إلى حدّ اليوم.

انّ هذا السرّ يمارسه الشبك، فالاعتراف بالخطايا من شعائر الشبك، وكذلك التناول هو أيضاً من شعائرهم. فإذا ما اجتمع الشبك في دار البير للصلاة ليلة الجمعة أو في ليلة التعاذر أو في رأس السنة، جاء كل شبكي بخمره وخبزه، وقد يحضر ايضا ً ديكاً فيتوّلى ذبح الديوك شخص يلقّب بالقصّاب وهو حامل السكينة

58 الصرّاف، المصدر نفسه، ص ١١٨-١٢٠

المقدّسة ولا يجوز ان يذبح الديوك غيره. ثمّ تشوى الديوك ويقدّم الخبز والخمر يشربون الخمر ويضربون الطنبور وينشدون الاشعار. وهذه المراسيم التي هي من عوائد الشبك، فانّها من شعائر البكتاشيّة. وللشبك اتّصال وثيق بالبكتاشيّة وكانوا يراجعون ولد جلبي في قونية ويتلقون منه الارشاد. كما انّه كان لهم اتّصال وثيق بتكية اردبيل. فكان «البابا -البير- الدده» يشدّ الرحال إلى اردبيل لينال إجازة من شيوخ التكية فيها. وفي اردبيل والكاكائيّة والقزلباشيّة والبكتاشيّة والعلويّة والنصيريّة من نجار واحد ومن اصل واحد. فشعائرهم وعاداتهم متشابهة متجانسة كأنها من معين واحد[59].

ان تسرّب عادة الاعتراف والتناول عند البكتاشيّة والقزلباشيّة، والشبك قد حيّر الباحثين والدارسين، فهو سرّ لم يكشف، وعقدة لم تحلّ بعد.

---

59 أحمد حامد الصرّاف، المصدر نفسه، ص ١٢٠-١٢١

١٣- الحالة الإجتماعيّة للشبك

للشبك حياة اجتماعيّة خاصة، قد تختلف، أو تتّصف بمظاهر الهويّة الشبكيّة، مذهبياً واجتماعيّاً، وقد تكون متمركزة بشخصيّة «البير-البابا» الذي هو بمثابة «القطب» الذي تدور حوله أغلب المظاهر ان لم نقل انّه هو الكل في الكل، يتوّلى امورهم في عباداتهم ومعاملاتهم وشتّى شؤونهم، بيده الحلّ والربط ينقض ويبرم، يعاقب ويغفر، يعقد ويفسخ، في الولادة، والصلاة، والزواج، والطلاق، والموت، هو الرأس وله الكلمة العليا، ولا يتم أمر من أمورهم الاّ ان يكون ذلك برضاه، فهو البركة الدائمة والرحمة المقيمة والناصح المشير والمرشد الكبير، وحامل الأسرار ووارث علوم الابرار... لذلك نبتدئ بالكلام عن:

١- الولادة:

لا يرى الشبكي مولوداً مباركاً ما لم يبارك البابا ويدع له بالخير ويقرأ له «الكلبنك» وجلّ ما عرفناه عن رسوم الولادة هو ان الابوين يأخذان المولود بعد سبعة أيّام إلى البابا ومعهما كبش وخبز وخمر. فينحر «القصاب» الكبش ويحضر في الدار اهله وأقاربه. بعد أن يقرأ له البابا «الكلبنك» ويدعو له بالخير، يأكلون ويشربون ومن ثمّ يرقصون الرقصة المشهورة «الدبكة» التي تسمّى بعرف العراقيين في وسط العراق وجنوبه «الجوبي» وينتهي بذلك الاحتفال بالولادة (الصرّاف، الشبك، ص.١٢١).

وليس اكثر فرحاً من استقبال الشبكي لوليده ذكراً كان أم أنثى، وغالباً ما يقوم الشبكي باستدعاء رجل الدين أو جدّ الطفل ليكبّر بالشهادة في اذنه، ويدعو له بالحياة المديدة والصحّة والعافيّة والاستقامة والالتزام. ومن ثمّ إجراء التبريكات والولائم واظهار الفرحة بالمولود الجديد، يتمّ تسميته، وغالباً ما يكون متشابهاً مع أحد اسماء الأولياء والانبياء تيمّناً بها، علي، محمد، قاسم، رضا، حسن، حسين... وغيرها.

٢- الزواج:

يلتزم الشبك بالأعراف والتقاليد العراقيّة، فلهم الاشهار عن الزواج وذلك باقامة حفل للزفاف تتمّ فيه زفّة العريس بموكب من الاصدقاء والأهل والمعارف، يصاحب ذلك الأمر الهلاهل والأغاني الشعبية، وغالباً ما يصل الموكب بالسيّارات[60] التي تركبها العروس، وبعض اقاربها واصدقاء العريس، وتتوجّه إلى بيت العريس حيث اعدّت لها غرفة خاصة، وبعد ان يصل موكب الزفّة يترجّل الرجال والنّساء إلى البيت وبعد أن يؤدي الجميع مراسيم التّهاني وبعد ذلك يوّدع العريس الجميع بالتوفيق والفرح.

60 كأن يصدف ان تكون العروس من قرية أخرى مثلاً فيقوم -قديماً- بزفّة الشباب على ظهور الخيل قبل حلول السيّارات. كما يتحلّق الشباب وأهل العريس حول بيت العروس للمشاركة بالاحتفال راقصين الدبكة المعروفة والتي يشترك بها الرجال والنّساء في المنطقة معبّرين عن فرحتهم ومشاركتهم حيث الطبل والمزمار هو القائد للدبكات.

كما يتمّ الاحتفال بمرور سبعة أيّام على الزواج احتفالاً عائلياً، وتندمج العروسة ضمن أعمال البيت والحقل لتصبح جزءاً مهمّاً من ابناء العائلة الجديدة.

ومن الملفت زواج الفتيات والشبّان الشبك خلال أعمار صغيرة، إذ يجد الأهل ان ربط الشاب بزوجه يجعله مستقرّاً نفسيّاً أولاً، وحتّى يشعر بمسؤليته عن حياته الاسرية ثانياً، ولزيادة خبرته وتجربته حتّى يمكن الاعتماد على نفسه ذاتياً ثالثاً. إضافة إلى حاجة الشبكي إلى توسيع إعداد عائلته للسيطرة على اعماله الزراعيّة وتربية المواشي كالاغنام والابقار وعمليّات التسويق للمنتوجات الزراعيّة والحيوانيّة بما يتطّلب معه وجود اعداد من المساهمين من افراد العائلة.

٣- الطلاق:

ويندر أن يطلّق الشبكي زوجته حتّى لو ابتليت بمرض عضال لا يرجى شفاؤه ويظل الشبكي ملازماً لزوجته على علاّتها وبرغم عيوبها، امّا اذا عزم الشبكي عزماً اكيداً للتخلّي عن زوجته فان ذلك في امكانه الاّ ان الأمر يكلّفه غالياً. فإذا ما وقع الأمر واصرّ الشبكي على الطلاق وجب عليه ان يبيع جميع ممتلكاته من دار وارض ومواشي ويقسم ثمّ البيع إلى اثني عشر قسماً، يهب احد عشر قسماً «للبابا» ويأخذ قسماً واحداً لنفسه، وبعد ذلك يسافر إلى كربلاء للزيارة مستصحباً شاهدين وهناك في كربلاء وفي ضريح الإمام الحسين يتفوّه بلفظة الطلاق. وعند رجوعه من

كربلاء إلى قريته يتحتّم عليه أن يشتري أربعين قنينة من الخمرة البيضاء «العرق» ويذهب إلى دار «البير» مع الشاهدين، أو إلى «الرهبر» ويدعو فريقاً من الشبكيين، وهناك في الدّار تشعل النّار إلى ان تخف وطأة النّار ويكثر رمادها، يأمر «البر» المطلّق- بكسر اللام- ان يقف فوق الرماد، ثمّ يأمر الرهبر ان يضع حجرين يدليهما في عنقه عقاباً له، وبعد ذلك يحوّل «البير» وجهه نحو الكافرين فيسألهم قائلاً: «هل أنتم راضون عن هذا العبد»

فيقول الحاضرون: «اذا رضي الواصلون عنه فإنّا نرضى عنه».

فيقول البير: «الواصلون أهل الكرم»

ومن ثمّ يتمّ الطلاق. فتذهب الزوجة الشبكيّة إلى دار أهلها، ولا شك ان في ذلك اجحافاً كبيراً على الزوج[61].

٤- حالة المرأة الشبكيّة:

للمرأة الشبكيّة منزلة كبيرة في المجتمع الشبكي، لها قيمة عالية مرموقة، اذ انّها تشكّل العمود الفقري للبيت، فهي السند والمساعد والمدبّر والمنظّم لحياة الشبكي. وتتقاسم المرأة الشبكية العمل مع زوجها وأولادها، فهي مدبّرة المنزل، ومساعدة الزوج، في الزراعة والرعي وتربية الاطفال، والاشراف على حظائر المواشي والدواجن، وإطعام الحيوانات ولذا فان لها من الأهميّة

61 أحمد حامد الصرّاف، المرجع نفسه، ص ١٢٢-١٢٣

التي تجعلها متميّزة ضمن هذا المجتمع، وبالنظر للتقاليد الصارمة التي تغلّف حياة الشبك فإن المرأة لم تنغلق على نفسها في المجتمعات الأخرى، كالأرياف في جنوب ووسط العراق. وتحضر التجمّعات والمناقشات التي تخصّ أسرتها وأهلها، ونادراً ما تجد الطلاق واقعاً عند الشبك، ولا يطلّق الشبكي زوجته- كما سبق وشرحنا- ويبقيها على علاّتها، الاّ إذا كان هناك سبب قوي وعلّة لا يمكن علاجها.

وحقوق المرأة الشبكية منصوص عليها في عقد الزواج كما لغيرها من حقوق الصداق المقدّم والمؤخر المنصوص عليها في العقد، يتمّ تطبيق الاحكام العامّة للطلاق الشرعية منها والقانونيّة عليها.

وتشكّل الجوامع والأماكن الدينيّة مكاناً للاجتماع والتلاقي بين النّاس في المناسبات الدينيّة وفي صلاة الجمعة كما تكون بيوت الشيوخ ورجال المجتمع المتميّزين مكاناً آخر تجتمع به رجال القرية، المدارس في مشاكل القرية وأوضاع النّاس، أو لاستقبال أحد الضّيوف أو مناسبة دينيّة أو اجتماعيّة عامّة[62].

٥- الحياة الاجتماعيّة:

والمجتمع الشبكي مجتمع ريفي عشائري تقيّده أعراف وقيود اجتماعيّة، حيث تقع المهمّة الأساسيّة في الزواج- كما

---

62 زهير كاظم عبود، المصدر نفسه، ص ١٨١-١٨٢

اسلفنا- فيكشف الشاب رغبته لإحدى نساء العائلة والتي تلحّ على الشاب لاختيار شريكة حياته، والتي تتولّى بدورها مفاتحة أولياء الأمر والاتّصال بالفتاة المطلوبة أو بأهلها مبدئيّاً. وفي حال تطابق الرغبة والموافقة والاّتفاق، يصار إلى تشكيل وفد من الوجهاء وأهل الزوج لخطبة الفتاة من أهلها. وبعد اتمام مراسيم الخطبة، يتمّ الاتّفاق على المهر ويكون تبعاً لوضع العائلتين المادي والاجتماعي، وبعد هذا الاتّفاق يصار إلى تقديم النيشان، يتخلل ذلك حفل يقام في دار الفتاة غالباً ما يكون للرجال والنساء، وغالباً ما يكون للسادة الدور المهمّ والأساسي في قبول أهل الفتاة وجاهة السيّد أو رجل الدين وتكريم حضوره في الموافقة على عمليّة الزواج، كما يتم ترضيّة ابناء العمّ وابناء الخال والحصول على رضاهم وقبولهم بهذا الزواج، حرصاً على عدم وقوع خلافات وشروخ تباعد بين الأقارب، كما هو العرف السائد بين عشائر العراق بكل قومياتها، بعد كل هذا يحدّد موعد الزواج، كما سبق وذكرنا[63].

٦- الموت:

واذا حلّت حالة وفاة في أحد البيوت الشبكيّة، يحضر البابا في الدار ويقرأ «الكلبنك» ويغسل الميت ويكفنه على وفق عادة المسلمين، وبعد دفنه في مقبرة القرية يصنع أهل الميت طعاماً

---

63 زهير كاظم عبود، المصدر نفسه، ص ١٨٣-١٨٤

يوّزع على فقراء القرية. أمّا من هو الذي يتوّلى غسل الميت وتكفينه أهو البابا أم أحد الناس فهو أمر لم يتوّضح لنا[64].

٧- الزواج بالمرأة العلويّة:

يؤمن الشبكي بأن المرأة العلويّة المنحدرة من الصلاب الطاهرة مقدّسة بسبب نسبها، وبذلك فلا يجوز لغير العلوي ذي النسب الصحيح ان يتزوّج علوية، وكل من يتعمّد ان يتزوّج علويّة فزواجه يكون شؤماً عليه ولن يتهنّأ به مطلقاً[65].

٨- الخمرة:

الخمر عند الشبك غير محرّمة، يشربها الرجال والنّساء، ويزعمون ان القرآن لم يحرّم الخمر كما حرّم الميته والدم ولحم الخنزير ولها مقام كبير في احتفالاتهم واجتماعاتهم، مضافاً إلى انّها معدودة من الأشياء الطبيّة، يعالج بها المصابون بالسعال والزكام[66].

٩- الناحية الطبية:

إذا تمرّض الشبكي، فلا يؤخذ غالباً إلى طبيب يعالجه على وفق ما يقرّره الطب والعلم، بل يعالج احياناً على وفق عاداتهم، وهذه العادة قديمة، أكل الدهر عليها وشرب. فمثلاً المصاب

64 أحمد حامد الصرّاف، ذات المصدر، ص ١٢٣.

65 أحمد حامد الصرّاف، ذات المصدر، ص ١٢٣.

66 أحمد حامد الصرّاف، ذات المصدر، ص ١٢٣.

بالحمّى كان يعالج بطريقة غريبة جدّاً وذلك بأن يزوّد المريض قرصاً من الخبز وجرّة من الماء مع البصل ويخرج المريض إلى ربض من أرباض القرية وهناك ينام منتظراً الحمّى فإذا عاودته عاد إلى القرية، وترك البصل وجرّة الماء ورغيف الخبز[67].

وقد روى الاستاذ عبد المنعم الغلامي في مؤلفه: بقايا الفرق الباطنيّة، طريقة خاصة لمعالجة المريض آثرنا نقلها هنا لطرافتها وغرابتها فقال:

أمّا الحمّى التي تفد على المريض خصّيصاً في الليل فعالجها على الوجه التالي:

يقف أحد الأشخاص قبيل الغروب على ان يكون من البيت المتوارث لهذه الطبابة والمختص بها أباً عن جد فوق «مزبلة» من مزابل القرية وبيده رغيف خبز وهناك ينادي بأعلى صوته ما نصّه معرّباً عن اللهجة الشبكية:

«يا أولاد الحرام، الحمّى تأتي بالليل وتتركه في النّهار، ان راكب الفرس البني من جانب القرية يركض ويثير غباراً واحد من قرية شمس وآخر من قرية زنكنة، فما هو دواء هذه الحمى الليليّة».

---

67 روى ذلك السيد عبد المنعم الغلامي في كتابه «فرق الباطنية في الموصل» وعنه أخذ السيّد أحمد الصرّاف في كتابه «الشبك» ص ١٢٤.

وبعد الفراغ من هذه الأقوال يصيح المنادي نفسه «هو، هو، هو» وهنا لا بد ان يجيبه بعض سكّان القرية ويشترط ان يكون هذا المجيب ذا زوجتين فأكثر فيقول له بأعلى صوته «دركله، سى كله» وقد يجيب آخر «جوار كله» إي راسين، ثلاثة رؤوس، أربعة رؤوس، ثمْ ينادي صاحب الترتيل الكلاب باللفظة الشائعة على الألسن، والتي قد اعتادت الكلاب، فهمها فتسرع اليه طبعاً حيث يلقي السابق منها رغيف الخبز الذي كان بيده فيأكله ذلك الكلب، وتلتصق فيه الحمى وبعد ذلك فلا بد للمريض من أن يأتي برؤوس من الغنم بقدر عدد «الكله» التي وردت على لسان الرجل الحائز على أكبر عدد من الزوجات فتطبخ في داره وتوّزع على الأهلين بعد أن يكون المريض نفسه وأهل بيته فقد أخذوا نصيبهم من هذه الاكلة...(انتهى).

والمريض يداوى بثلاث طرائق فإمّا يداوى بهذا الأسلوب فإن لم يفده ذلك أخذ إلى دار «البابا» أو جيء بـ «البابا»، إلى داره ليقرأ له ويدعو له فإذا لم يفده كل ذلك أخذ إلى إحدى المزارات المقدّسة في بير حلاّن أو علي رش أو علي فردوش فيوضع في عنقه حبل من القنب ويربط بالمرقد إلى ان يتماثل إلى الشفاء... وهذه العادة ليست من عادات الشبك وحدهم. المسلمون جميعهم يقصدون قبور الأولياء ويفعلون كما يفعل الشبك لمرضاهم[68].

68 أحمد حامد الصرّاف، الشبك، ص ١٢٤-١٢٥

ويستعمل الشبك السمّاق والمسمّى بلهجتهم «ترشوك» والخمر، والضفدع والفصد والكي والاوراد والتمائم والنذور لتداوي المرضى عندهم.

١٠- الندب وحديث الأربعين:

من أهم عادات الشبك الندب والتوّسل بالإمام المرتضى والأئمّة الاثني عشر والأربعين والخمسة والثلاثة خاصة في شفاء المرضى وفي المواقف الخطرة المحرجة وقد قال لي غير واحد منهم ان تلاوة حديث «الأربعين» مفرج الكروب. فالائمّة الاثنا عشر معروفون أوّلهم الإمام علي وآخرهم الإمام المهدي الغائب، والخمسة هم آل العبا ويسمّون أيضاً اصحاب الكساء، والثلاثة هم الله ومحمد وعلي، والأربعون هو «القرقلر» وهذا نصّ حديث الأربعين معرّباً:

«جاء محمد إلى الباب. طرق الباب. جاء الجواب من أنت؟ قال أنا محمد. قالوا ليس لك مكان. فذهب قليلاً ثمّ عاد وطرق الباب مرّة أخرى. قالوا له من أنت؟ قال أنا فقير الفقراء ففتحوا له الباب فدخل. رأى تسعة وثلاثين من الواصلين. وعلي كبيرهم وشيخهم. أمر علي سلمان الفارسي فجاء له بعنقود من العنب. عصروا العنقود فشرب علي منه ثمّ فصد الإمام ذراعه بالفصد فانفجر الدم من الأربعين. قال يا محمد كيف ترى طريقتنا. أترضى عن طريقتنا. قال رضيت فانخرط محمد في سلك الطريقة».

الواصلون يأتون من الملك انّه سيدنا «علي»، نحن أصحاب الأئمّة الاثني عشر، والمنكر لا يتوصل إلى سرّنا، شيوخنا الأربعون والسبعة هم الذين وضعوا لنا هذه الطريقة.

وهكذا قالوا لنا ان يزيد بن معاوية غدرنا. النار تلتهب والقدر يغلي فتفيض الموجة من ذلك والعالم يقع في الشوق فانظروا إلى نورنا. المحبّة صارت ملائمة للمرشد والواصلون فقهوا معناها[69].

١١ـ أسماء الأعلام:

الشبك يتفاءلون بتسمية ابنائهم بأسماء الائمّة الاثني عشر، ويتيّمنون بها تيّمناً شديداً ويعتقدون ان الفتى والفتاة المسمّي والمسمّاة بأحد أسماء آل البيت بركة في الدار ورحمة لأهل الدار، يدفع الله بهذا الاسم السوء، ويبعد عن الأهل والجيران المكروه. فأكثر اسماؤهم هي: حسن، حسين، جعفر، صادق، مهدي، قاسم جمعة وخديجة، فاطمة، زينب... إلى غير ذلك من الأسماء التي يعتبرونها مباركة. ولا يوجد في الشبك من اسمه عمر، أو عثمان، أو عائشة، مطلقاً فهم مثل البكتاشيّة والقزلباشيّة يكرهون الخلفاء الثلاثة ولا يتورعون في سبّهم على الأخص الخليفة الثاني عمر الفاروق الذي بسمّونه «عمروك» كما يسمّون عائشة زوجة محمد «عشعشة».

69 أحمد حامد الصرّاف، الشبك، ص ١٢٥-١٢٧.

١٢- البيارق والرايات والاكف:

لشيوخ الشبك اعلام ورايات ترفرف على بيوتهم. فيرفع العلم الأسود في شهر المحرم الحرام ويشير إلى المأتم والحزن ويمسكون بيدهم أكف مصنوعة من البرونز والحديد يجولون بها في الدساكر والضياع بأيام معروفة فيتهافت عليها الشبك يقبلونها ويتبرّكون بها وينذرون لها النذور، وتسمّى الكف بـ «كف العباس» يقصد بها الشهيد أبو الفضل العباس أبو الحزامين حامل راية الحسين في وقعة كربلاء، وهذه العادة موجودة في الفرات الأوسط[70].

١٣- آدابهم وأخلاقهم:

لا يملك الشبك تراثاً أدبياً قديماً أو حديثاً، لا في الشعر ولا في النثر، ولا في القصة أو الرواية، الاّ مآثر شعبية بسيطة ركيكة في الحكايات الشعبية أو الأمثال العامية المقتبسة من خلال جيرانهم الأقوام الأخرى كالأكراد أو التركمان والعرب.

وعليه ليس للشبك ادب شعبي خاص في لغتهم لانتشار الاميّة بينهم وللحالة الصوفية التي يعيشونها والبساطة والسذاجة التي تسود على غالب الشعب الشبكي ويسيطر عليهم التواضع وطيب القلب وخفّة الروح والأدب الجم في التصرّف وسلوك المعاملة.

---

70 أحمد حامد الصرّاف، ذات المصدر، ص ١٢٨.

وقد نما إلى سمعنا ان بعض الشيوخ أي «البير» أو «الدده» أو «المرشد» يكتبون ويقرأون بركاكة واضحة الاّ ان معظمهم يستظهرون عن ظهر قلب «الغيب» ما يحفظونه من القصائد «الكلبنك» أو «النفس» وهذه القصائد أو المحفوظات كثيرة ومتنوعة، حيث لكل حدث خاص له اجتماع ديني خاص «نفس-كلبنك» خاص. وهؤلاء الشيوخ يعتمدون على ذاكرتهم أكثر مما يعتمدون على ما بين أيديهم من الأوراق والصحف.

فآداب الشبك -على بساطتها- هي نوع من الأدب الديني محصور بين الشيوخ -رجال الدين- المرشدين وحدهم فقط وقد لا يُسمع في السنة الاّ بضع أوقات أو مناسبات معيّنة. علماً ان هذا النوع من الأدب الديني للشبك ليس من نتاج شبك العراق، ولا من نتاج قرائح الشبك أنفسهم انما هو نتاج البكتاشيين الفرس أو التركمان، فهو بذلك ادب بكتاشي وقزلباشي الذي انتشر بين ابناء الشبك العراقيين عند شيوع الطريقة بينهم، أي عندما اعتنقوا عقائد الطريقة البكتاشيّة والقزلباشيّة.

واغلب هذه القصائد هي من نظم شعراء الطريقة البكتاشيّة والقزلباشيّة، أمثال :«حلمي» و«يراني» و«درويش علي» واهمّها من نظم «خطائي» هو الشاه اسماعيل الصفوي الذي يعدّ في طليعة الشعراء في عصره الرعيل الأول من شعراء القزلباشيّة،

وقد امتازت قصائده بالجمال والرصانة والخيال والغلوّ[71]...

يحدّثنا السيد أحمد حامد الصرّاف في مؤلفه الشهير «الشبك» والمنشور بالطبع في تموز عام ١٩٥٤ في مطبعة المعارف، عن القصائد التي جمعها شخصيّاً واغلبها في النصح والارشاد أو مدحاً للائمة الاثني عشر أو رثاءً مؤثراً في الشهيد الحسين بن علي، أو غلوّاً في الامام علي بن ابي طالب[72].

يقول الصرّاف: «ان معظم هذه القصائد التي يتلوها «البير» أو «الرهبر» في الاجتماعات والاحتفالات لها صبغة دينيّة عاميّة، تفرّقها عن الأدب المعتبر من النسق العالي كأدب فضولي ونفعي وسروري. واذا اعتبر ادب شيوخ البكتاشيّة والقزلباشيّة من الطبقة الأولى، فأدب الشبك يعد من الطبقة الرابعة، وهو بون كبير والفروق بين ادب شيوخ البكتاشيّة والقزلباشيّة، وبين ما في يد الشبك من أدب ديني كثيرة، اهمّها ان الأدب البكتاشي رصين يمتاز بجمال اللفظ وادب الشبك الديني عامي يحمل الرخيص من اللفظ والأدب البكتاشي يراعي الوزن والقافيّة مراعاة تامّة، بينما الأدب الشبكي كثير الزحف يمشي أحياناً أعرج يتوكأ على عكاز النغم، فإذا ما اختلت من النغم نبرة واحدة هوى البيت الشعري من الفم كما يهوى اللعاب إذا مسّه الحنظل.

71 أحمد حامد الصرّاف، ذات المصدر، ص ١٢٩.

72 أحمد حامد الصرّاف، ذات المصدر، ص ١٣٠.

امّا المذهبان البكتاشي والشبكي فانّما متّفقان على ان يجعلا الطالب -كما أمر الشيخ صفي الدين- مسلوب الإرادة محروم التفكير كالبعير حمّال الأثقال، وكالحمار الصبور المطيع، وكالخنزير الذي يمشي الطفرى ولا يلتفت لا يميناً ولا شمالاً.

وننشر هنا نصّاً معرّباً كحوار بين البير والطالب:

الطالب

مررت عند السحر بحضرة الشيخ. يا شيخ ألا ترسمني طالباً. اغفر لي ذنبي وتجاوز عن خطيئتي. يا شيخ الا ترسمني طالباً.

الدده

تنح يا يزيد وابعد ولا تقرب منا. فانا تلعن البراءة منك. أعاشق انت العروس أو بنت-تنح يا يزيد فلن تكون طالباً.

الطالب

الله القادر على رؤوسنا. ليلتهب المكان الذي يقف فيه يزيد ناراً. عميت عيني ان كنت عاشقاً العروس أو بنت. يا شيخ الا ترسمني طالباً.

الدده

يا يزيد، أتعرف الثلاثة والخمسة. أتدري ان الشواء إذا قلّ احترق السيخ. ان النباح من دأب يزيد. تنح يا يزيد فلن تكون طالباً.

الطالب

أنا راض بقدرة الحق. أنا أعرف اسماء الاثني عشر واكتبها. وانا أفديً المؤمنين بروحي، يا شيخي تجعلني طالباً.

الدده

يا يزيد ما سبب هروبك من شيخك. لقد آذيت أباك وهجرت طريقه، وانقطعت منا وتركتنا. تنح يا يزيد فانت لا تكون طالباً.

الطالب

قل يا شيخي ان هذا أيضاً من سوء حظي، أخوض البحر وأترك التاج والتنخث. كنت عاشقاً لعروس أو لبنت فذاك أيضاً من سوء حظي يا شيخي الا تجعلني طالباً.

الدده

الدرويش «علي» يحلف والله بالله، ليس في طريقنا خلاف والله، ان يزيد لن يكون طالباً بعلم الله. تنح يا يزيد فلا تكون طالباً[73].

أمّا من ناحية السلوك الأخلاقي فإن أخلاق الشبك أليَن أخلاقاً من سائر القبائل التركمانيّة الساكنين في قرى الموصل واحسن معاملة يملكون سليقة واضحة واريحيّة متواضعة، وهم اكثر اعتدالاً في العيش المشترك مع باقي المذاهب والقوميات.

---

73 أحمد حامد الصرّاف، ذات المصدر، ص ١٢٣-١٢٤. ومن أراد المزيد فليراجع ذات المصدر «الشبك» ص ١٢٤-١٢٩

يملكون الهدوء في شؤونهم، فضلاتهم مع سائر سكّان الموصل وقراها عرباً كانوا أو أكراداً أو تركماناً، صلات جميلة فهم أهل زرع وضرع وما زالت البراءة قائمة فيهم.

وهم أشدّ النّاس حرصاً على أعراضهم، يستنكفون من الرديلة ويبتعدون عن الفحشاء والبغاء. وليس فيهم فتى مطعون في سلوكه ولا فتاة تحوم حولها الريب والشكوك، وما جزاء الفتاة المارقة الزائغة عندهم غير الذبح، وكذلك عقوبة الفتى الفاتك الجريء الذي يستحل الحرام ويقدم على ارتكاب الكبائر والموبقات شيء سوى الهجر والنبذ والطرد من الاجتماعات الدينيّة المقدّسة، الاّ إذا رجع إاى صوابه تائباً نادماً، وتبدّل حمقه رشداً وكياسة.

والشبك في الحقيقة -وانا ابن المنطقة التي يكثر فيها الشبك، من خلال القرى الشبكية المحيطة بنا- اطيب القرويين من التركمان والأكراد وحتى العرب ذمّة، فليس فيهم من يقدّم إلى شهادة الزور ويصطنع الكذب للاضرار بالناس. وقد اثّرت في نفوسهم آداب الطريقة القزلباشيّة ومواعظ الشيخ صفي الدين الاردبيلي تأثيراً كبيراً[74].

74 الاّ انّه في الفترة الأخيرة واقصد الربع الأخير من القرن الماضي، تغيّر سلوكهم رأساً على عقب فبرزت اطماعهم وظهرت عصبيتهم قوميّاً ودينيّاً سيما نحو القرى المسيحيّة المحيطة بهم وخاصة في برطلي وكرمليس...

أمّا ما يخص السجايا الأخرى من كرم طبع وسخاء يد وحسن ضيافة، فهم وسط لا يضاهون العرب المجاورين في الكرم وحسن الضيافة. ومن خصائصهم فانّهم أكثر الطوائف تعصباً للعلويين وأشدّهم تعلقاً بهم، وعندهم ان الشخص المنحدر من صلب الرسول محمد نور وعطر يضيء ويفوح ولذلك يرى الشبكي وجود السيّد الهاشمي في قريته بركة ورحمة. فشخصه مجلبة للرزق، وعوذة لطرد الشرير الخبيث من مرض وفقر، ولا يتردد الشبكي أن يخدم السيّد العلوي خدمة تفوق خدمته لأمّه وأبيه يكرّمه ويهديه، يضيفه ويأويه، يزوّجه ابنته ويفتح له بيته، وهو يطلب من وراء ذلك الشفاعة من الأئمّة الأطهار.

وقد اهتدى كثير من الشبك فعادوا على حظيرة الشيعة الاثني عشرية ونبذوا هذه العوائد وراءهم، فحسن اسلامهم وكمل ايمانهم، وشرع بعض علماء الشيعة يزورونهم ويقيمون بينهم للإرشاد والتعليم[75].

١٤ـ ليلة الكشفة:

ليلة الكشفة تتم عندما يجتمع الرجال والنساء في حظيرة

ولست أدري ماذا غيّرهم فتمردوا على مجتمعهم وسلوكهم واخلاقيّتهم.

75 الاّ انّهم في الآونة الأخيرة، بعد سقوط نظام صدام حسين (نيسان ٢٠٠٣) دخل بينهم بعض الدعاة الذين اقنعوا بعضهم بأنّهم سنّة مذهباً وأكراداً قوميّاً فشرخ مجتمعهم وضاع غالبيتهم بين المذهبية والقوميّة. وكل ذلك لأغراض سياسيّة وقانا الله شرّها.

واحدة في احتفال رأس السنّة، وليلة التعاذر (غفران كيجه سي) والليلة العاشرة من المحرم الحرام. وفي هذه الليلة أي الليلة العاشرة من المحرم الحرام تطفأ الأنوار ويجتمع النساء والرجال ينوحون ويبكون حتى مطلع الفجر[76].

وقد انتشرت هذه العادة بين الشيعة واقتبستها طوائف تمت إلى الشيعة بشيء من صحيح العقيدة كالشبك والصارلية والكاكائية والحقية وغيرها.

وبالجملة «ليلة الكشفة» تكون في الليلة العاشرة من شهر محرّم الحرام، كذلك في ليلة «الغفران» حيث تطفأ الأنوار وحينئذٍ يبكون وينوحون على خطاياهم وذنوبهم وآثامهم ثمّ اوقد الأنوار فيحلّهم الامام ويغفر لهم كل ما اقترفوه من الخطايا[77].

---

76 ان اطفاء النور في الليلة العاشرة يجري على العادة في جميع البلاد الشيعيّة بالعراق من شماله إلى جنوبه حيث ينوحون فيه على الحسين يوم استشهاده حتى انّه من صفات أو مزايا النوح هذا، هو ان الناس يمشون حفاة في تلك الليلة أو ذلك النهار، اظهاراً للحزن الشديد على ما وقع على آل بيت الرسول من المصائب والنكبات. وقد شاهدت هذا يجري في الليلة العاشرة في مدينة البصرة أكثر من مرّة.

77 ان الحاقدين على الشبك والشيعة أشاعوا عن هذه الليلة «الكشفة» البهتان الصريح والافتراء المحض من ان هذه الليلة يجتمعون النساء والرجال وينتشر بينهم الخمر فينتشون ويرتكبون الموبقات. وانا اعتبر هذا أمر خاطئ جداً وكل ذلك خرافة خلقها البغض والشنآن وهو كذب صريح قبيح.

١٤ـ كتبهم الدينيّة

للشبك كتابان حول مذهبهم:

الأول ويدعونه بـ «**المناقب**» ويسمّونه «برخ» تصحيف كلمة «بويروق» أي وما يتفضّل به. ويعتبرونه أنفس وأقدس ما لديهم من الكتب، ومن الجائز ان يكون لديهم عدّة كتب أخرى.

وكتاب «المناقب»، يحتوي على حوار في آداب الطريقة بين الشيخ صدر الدين وبين قطب العارفين الشيخ صفي الدين بن اسحق الاردبيلي، ويعد كتاب المناقب من كتب الشبك المقدّسة ويعرف عندهم بـ «البرخ» أو «البويورق» أي ما يتفضّل به.

ان مغزى المناقب وهدفه هو تثبيت دعائم الطريقة وتركيزها على أسس من الأسرار وتنظيم الصلات والعلاقات بين المرشد والمريد (الطالب) تنظيماً ينكر فيه ذاته ويفنيها في ذات شيخه فيصير لمرشده اطوع من بنانه وظله، وكل أولئك تحت غشاء من سر وستار من تكتّم ويستهدف كتاب «المناقب» أمرين:

الأول: ان يدخل في روع التلميذ ان طريقته دين قائم بذاته وشريعته مستقلة قوامها الحق وان هذا الدين لا تظهر خصائصه الا إذا جعل المريد الأئمة الاثني عشر شفعاءه يستجير بذكرهم ويلوذ بقدسهم ويستظل بظلّهم.

أما **الأمر الثاني** فان المناقب يريد ان يكون المريد في الطريقة كالبعير حمّال الاثقال، وكالحمار صبورا ً ساكتاً وكالخنزير يمشي مستقيماً لا يلتفت ذات اليمين ولا ذات الشمال، وسوف ننشر كملحق بهذا الكتاب بعض صفحات من كتاب المناقب.

والكتاب الثاني «الأوراد البكتاشيّة»: ان الدارس للأوراد البكتاشيّة-الشبكية يجد ان الأوراد أسست على عقيدة الشيعة الإماميّة الاثني عشرية. فالورد البكتاشي يبدأ بذكر لله ثمّ للرسول ثمّ لعلي ثمّ لفاطمة ثمّ للحسن ثمّ للحسين ثمّ لعلي ثمّ لفاطمة ثمّ للحسن ثمّ للحسين ثمّ لعلي زين العابدين ثمّ الباقر وهكذا إلى الامام الاثني عشر عند الشيعة.

وهذه بعض نصوص هذه الأوراد:

١) اللهم صلّ وسلّم وزد وبارك على السيّد المطهّر، والإمام المظفر، والشجاع الغضنفر، إلى شبير وشبر.

٢) اللهم صلّ وسلّم وزد وبارك على السيّدة الجليلة الجميلة الكريمة النبيلة، المكروبة العليلة ذات الأحزان الطويلة، في المدة القليلة، المعصومة، المظلومة، الرضيّة الحليمة العفيفة، السليمة المدفونة سرّاً، والمغصوبة جهراً، المجهولة قدراً، والمخفية قبراً، سيّدة النساء الانسية، الحوراء، البتول العذراء، أم الائمة النقباء النجباء فاطمة النقيّة الزهراء عليها السلام.

٣) اللهم صل وبارك على السيّد المجتبى والإمام المرتجى سبط المصطفى وابن المرتضى علم الهدى. الشفيع ابن الشفيع المقتول بالسمّ النقيع المدفون بأرض البقيع. الإمام المؤتمن والمسموم المتحن... الإمام بالحق ابي محمد الحسن[78].

٤) واما في الصلاة على الحسين فيقول الورد البكتاشي: «اللهم صلّ وسلّم وزد وبارك على السيّد الزاهد والإمام العابد، الراكع الساجد... قتيل الكافر الجاحد... الإمام بالحق عبدالله الحسين.

٥) وهكذا تستمرّ هذه الأوراد على هذا النحو ذاكرة إماماً من أئمّة الشيعة الاثني عشرية، إلى ان يأتي الورد الخاص بمهدي الشيعة المنتظر الذي يسمّونه محمد بن الحسن العسكري. فيقول الورد بالنص:

«اللهم صلّ وزد وبارك على صاحب الدعوة النبوية، والصولة الحيدرية، والعصمة الفاطمية، والحلم الحسنيّة والشجاعة الحسينيّة، والعبادة السجاديّة، والمآثر الباقرية والآثار الجعفرية، والعلوم الكاظميّة، والحجج الرضوية والجود التقوية، والنقاوة النقوية، والهيبة العسكرية، والغيبة الإلهيّة، القائم بالحق والداعي إلى الصدق المطلق كلمة الله وامان الله وحجّة الله والقائم لأمر الله، والمقسط لدين الله، الذاب عن حرم الله. إمام السرّ والعلن، دافع

---

78 الرسالة الأحمدية ص ٨٢

الكرب والمحن، صاحب الجود والمنن، الامام بالحق ابي القاسم محمد بن الحسن، وصاحب العصر والزمان وخليفة الرحمن، ومظهر الايمان، وقاطع البرهان، وسيّد الأنس والجان، المولى الولي، وسمي النبي والوصي، والصراط السوي، صلوات الله وسلامه عليه، وعليهم اجمعين، الصلاة والسلام عليك يا وصي الحسن، والخلف الصالح، يا إمام المسلمين يا حجة الله على خلقه، يا سيّدنا ومولانا إنا توجهنا واستشفعنا وتوسلنا بك إلى الله، وقدمناك بين يدي حاجتنا في الدنيا والآخرة، يا وجيهاً عند الله اشفع لنا عند الله بحقك وبحق جدك وبحق أبائك الطاهرين[79].

واما في ورد التولي والتبري فانّهم يقولون:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمدلله الذي هدانا ولهذا ما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله. وما توفيقي واعتصامي الاّ بالله. إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهر تطهيراً. والصلاة والسلام على رسولنا محمد الذي ارسله بالهدى. قل لا اسألكم عليه اجراً الاّ المودّة في القربى. وعلى آله واصحابه وازواجه الهدى. يا سادتي ويا موالي إني توجّهت بكم أنتم أئمّتي وعدتي ليوم فقري وفاقتي وحاجتي إلى الله. وتوّسلت بكم إلى الله واستشفعت بكم إلى الله. وبحبّكم وبقربكم أرجو النجاة من الله. تكونوا عند الله، رجائي يا سادتي يا أولياء الله. صلّى الله عليكم أجمعين. اللهم ان هؤلاء

---

79 الرسالة الأحمدية ص ٨٨-٨٩

ائمّتنا وسادتنا وقاداتنا وكبراؤنا وشفعاؤنا بهم نتوّلى ومن اعدائهم نتبرأ في الدنيا والآخرة. والعن من ظلمهم، وانصر شيعتهم، واغضب على من جحدهم، وعجل فرجهم. واهلك عدوّهم من الجن والانس أجمعين من الأولّين والآخرين إلى يوم الدين. اللهم ارزقنا في الدنيا زيارتهم وفي الآخرة شفاعتهم وزدنا محبّتهم. واحشرنا معهم. وفي زمرتهم. وتحت لوائهم. بمنك وكرمك يا أكرم الأكرمين. ويا ارحم الراحمين. والحمد الله رب العالمين. اللهم صلّ على محمّد وآل محمّد...

وفي ختام الأوراد على المريد البكتاشي والسالك ان يشهر هذه الشهادة ويقول:

«واشهد ان الأئمة والأبرار والخلفاء الأخيار، بعد الرسول المختار، على قامع الكفار. ومن بعده سيّد أولاده الحسن بن علي. ثمّ أخوه السبط التابع لمرضاه الله الحسين. ثمّ العابد علي ثمّ الباقر محمّد. ثمّ الصادق جعفر. ثمّ الكاظم موسى. ثمّ الرضا علي. ثمّ التقي محمد. ثمّ النقي علي. ثمّ الذكي العسكري الحسن. ثمّ الحجة الخلف الصالح القائم. المنتظر المهدي المرجى. الذي ببقائه بقيت الدنيا، وبيمينه رزق الورى، وبوجوده ثبتت الأرض والسماء. به يملأ الأرض قسطاً وعدلاً. بعدما ملئت ظلماً وجوراً. واشهد ان اقوالهم حجّة، وامتثالهم فريضة، وطاعتهم مفروضة، ومودّتهم لازمة مفضية والاقتداء بهم منجية، ومخالفتهم مردية، وهم سادات

أهل الجنة اجمعين وشفاء يوم الدين، وائمة أهل الأرض على اليقين وافضل الأوصياء المرضيين[80]».

ولا شك بعد ذلك ان هذه عقيدة شيعيّة كاملة حملتها هذه الأوراد، والعجيب حقاً ان هذه العقيدة الشيعيّة قد انتشرت في تركية، الدولة السنيّة، وفي مصر كذلك، واستمرّت هذه العقيدة الباطنيّة تنتشر وتنمو مدة القرون الطويلة من أواسط القرن الثامن تقريباً إلى يومنا هذا في القرن الخامس عشر الهجري وكل ذلك تحت جناح التصوّف.

---

80 الرسالة الأحمدية ص ٩٢

١٥- قالوا في الشبك

نحاول هنا ان نجمع النصوص التي تؤرخ للشبك، تحقيقاً للبحث الأكاديمي العلمي، وامانة للنقل، تأكيداً لرحابة التّاريخ بصحائفه، إضافة إلى نشر نصوص الباحثين الأوائل في هذا الموضوع التراثي العراقي الأصيل، وفي مقدّمتهم، نص الأب انستاس ماري الكرملي الذي نعتبره أول النصوص بهذا الميدان تحت العنوان:

تفكهة الأذهان في تعريف ثلاثة أديان

إن من تفقّد أديان الشرق نعماً يقف نعماً عندها منذهلاً ممّا يرى من كثرتها واشتباك شعبها وهي قد ضربت أطنابها فيه منذ عصور طوال خوال. ومع ما تشاهد من تعددها وتنوّعها لا تجد من قام بوصفها وذكرها من أبناء هذه البلاد فوفى حقها من التفاصيل التي تجدر بها. وإذا وقفت على من طرقوا هذا الباب في المائة المنصرمة من الناطقين بالضاد وجدتهم كلهم صحفيين اي قد أخذوا علمهم عن الصحف لا عن استاذ أو خبير أو شيخ أو ما يضاهي ذلك. واغلب كنه هذه الصحف الاجناب، وهؤلاء انّما يكتبون عن أهالي قواصي البلاد كتابة ينقصها التبحّر والاستقصاء إذ إنّهم يدونون كل ما يلقونه عن فم هذا وذاك، فيجمعون بين الغث والسمين وبين القض والقضيض وليس لهم وقت يتفرّغون فيه

للغور في الحقائق والغوص في بحارها الزاخرة لاستخراج لآلئها الفاغرة وما ذلك الاّ لأنّهم يأتون هذه الربوع بمنزلة السياح الرواد أو الرحل ولا تزد على هذا القدر ويكاد لا يقيمون بين ظهراني اصحاب تلك البلاد الا قدر لغية طائر أو طرفة ناظر بالنسبة إلى ما يجب عليهم ان يمكثوا كمثل هذه الأمور الخطيرة.

الاّ انّه يشذ عن هذه القاعدة ما تخطّه ايدي المرسلين فانّهم يتحرّون بحثاً ويدقّقون فيه النظر ويمنعون في استقصاء حقيقته وينهجون فيه نهجاً قويماً.

ومن العجب انّنا لم نر من العجم والعرب ومن تعرّض للكلام عن ثلاثة أديان قد ضربت بحرانها في ولاية الموصل وهي ديانة الصارلية والبارجوان والشبك.

١- الصارليّة Le Sarlyeh

١- تعريفهم وموطنهم:

الصارلية بصاد في الأول بعدها الف ويليها راء ساكنة ثمّ لام مكسورة فياء مشدّدة. جيل من النّاس لهم ديانة خصوصيّة بهم لا يدين بها غيرهم وهم مبثوثون في أرجاء الموصل وفي انحاء بعض البلاد الفارسية ممّا يلي تخوم بلاد الدولة العليّة. أمّا القرى التي توطّنوها في ولاية الموصل فهي قرية «تل لبن» و «بساطلية» و«كبرلي» و«خراب السلطانة» وكلّها متجاورة واصل هؤلاء الناس من بلاد ايران.

٢- لغتهم:

ان لغتهم خليط من الكردية والفارسيّة والتركيّة والصارليّة الذين يسكنون بجوار الموصل يحسنون أيضاً التكلّم بالعربيّة.

٣- ديانتهم:

ليس للصارلية فرقة من فرق الأديان الكبرى. بل هي شيعة قائمة برأسها واصحابها يوحدون الله ويؤمنون ببعض الأنبياء. ويقولون بالعواقب الأربع أي الموت والبعث والجنّة والنار. وهم لا يصومون ولا يصلّون ولا يسمحون بشيء من ذلك لمن يروم تحري هذه القربات والطاعات.

ومن غريب أمرهم ان الجنّة عندهم تباع وتبتاع والمتصرّف ببيعها شيخ واحد ليس له خطير بعده في الفرقة كلّها جمعاء ويعقبه في هذا الكعب الأعلى ابنه البكر بعد وفاة والده. والبيع يكون بالأذرع وبموجب الموطن الذي يريد الواحد ان يكون فيه في العليين ولا تقل قيمة الذراع عن مائة بشلك (والبشلك ربع مجيدي).

أمّا زمان هذه السوق فهو إبان الحصاد. فيأتيهم الشيخ ويعرض عليهم الجنّة فيأتيه الواحد مثلاً ويشتري ذراعاً أو ذراعين أو غير ذلك حسب حاله مثلاً من الثروة ثمّ ينقده المبلغ من ساعته فيكتب الشيخ صكّاً يقول فيه: «قد بعث فلان بن فلان من الجنّة كذا من الأذرع وقد قبضت الثمن نقداً» ثمّ يختم الكتاب بخاتمة ويسلّمه بيد المشتري. وإذا أراد الصارلي ان يوّسع ملكه في الآخرة فلا بأس من ذلك بشرط أن يفعل هذا الفعل في الموسم من قابل وان لا يشتري شيئاً بنسيئه. أمّا الصك فيحافظ عليه صاحبه ولا محافظته على حياته. وعند موته يوضع في جيبه حتى اذا وافى دار الخلود يقدّمه للبوّاب المعروف باسم «رضوان». فللحال يدخله ويجلسه في المحل المبتاع بدون حجاج أو نزاع.

وعن تسميتهم بالصارلية «على ما يزعمون» ان اللفظة مأخوذة من قولهم «صارت الجنّة لي بالإبتياع» فنحتت وقيل للواحد «صارلي» وللجمع صارليّة. وغير خاف ما في هذا الزعم

من الخطأ والوهم لأنّهم ليسوا من ابناء العرب ليحسنوا هذا التصرّف باللغة من ابناء فارس. والتسميّة فارسيّة مرتجلة غير انّي لم أقف على معناها[81].

ومن شعائر دينهم ان هذا الشيخ يوافي قومه مرّة ثانيّة في رأس السنة القمرية، فيعمد كل رجل متزوّج صاحب امرأة حيّة إلى ذبح ديك فيطبخه مع أرز وقمح أو طعام آخر ممّا ليس فيه مرق. وبعد ذلك يأتي به إلى الشيخ فيضعه هذا على سفرة طويلة والديك وراء الديك إلى أن يتم العدد فيأتي الرجال ومعهم نساؤهم فيجلس الرجال على الشق الواحد والنساء على الشق الآخر. وقبل ان يبدأوا بتناول العشاء يقوم الشيخ فيعظهم ثمّ يصلّي على الطعام ويباركه وبعد ذلك يأخذون بالأكل. ويسمّون هذا الغذاء «أكلة المحبّة» واذا فرغوا من ملء بطونهم ينهض الشيخ فيقول: «ان

81 من باب الوضوح انّه في صيف العام ١٩٧٥ رافقت الدكتورة آمال رسام الاستاذة في جامعة نيويورك، وكانت قد قامت بزيارة علميّة لدراسة أوضاع المرأة العراقيّة. ولفتح فرع الميثولوجيا في جامعة الموصل، رافقتها في زيارة العديد من قرى الشبك والصارلية. واذكر انّني سألت أحد رجال الدين في قرية كبرلي عن معنى «الصارلية» قائلاً «ان الله تعالى قسم الأمم والأقوام على الأنبياء والرسل، كأمّة عيسى وأمّة محمد وأمّة موسى والأخرين... بقينا نحن دون نبي فقال الله تعالى عنا «هؤلاء صاروالية» وعندما سألت مختار الجماعة واسمه باشا قال : «في معركة صفين التي صارت بين علي الامام وبين معاوية بن أبي سفيان. وترك الجميع الامام بقينا نحن معه وانصاره قال : «هؤلاء صاروا لي» آراء مختلفة متباينة.

هذه الليلة هي ليلة عظيمة ومن عرف امرأته فيها فالمولود يكون مكرّماً عنده تعالى ورفيع المنزلة». وبعد ان ينتهي من مثل هذا الكلام يأمر بإطفاء السرج والانوار وحينئذٍ تجري أمور بينهم يأنف القلم من تسطيرها. الاّ انّهم يزعمون ان ما يرويه النّاس عنهم هي أكاذيب مختلفة لا حقيقة لها ولا سند. وهم يسمّون هذه الليلة «ليلة الكفشة» واللفظة مشتقّة من كفش بالفاء أي قبض ومسك وسبب التسمية واضحة.

ولا يجوز للشيخ عندهم ان يحلق شاربيه أو لحيته، ولهذا ترى لحاهم أطول من لحية التيس، وإذا أراد الركوب أو السفر طواها طيّات وجعلها في كيس له لهذه الغاية ولا ينشرها الاّ عند القائه العصا.

وهم يبيحون الطلاق. والاضرار عندهم شائع، وصداق الابنة، ويبلغ بعض الاحايين الف بشلك يأخذه أبوها.

أمّا كتابهم الديني فلم أستطع ان أعرف عنه شيئاً الاّ انّه فارسي العبارة.

٤ـ صناعتهم:

لا صناعة لهم الاّ الفلاحة وتربية الغنم والمواشي.

٢- الباجوران Le Badjoran

١- تعريفهم ومحل وجودهم:

الباجوران باء في الأول يليها ألف بعدها جيم حركتها بين الفتحة والضمّة، ثمّ واو ساكنة يليها راء مفتوحة، فألف فنون. جيل من النّاس لهم دين خصوصي بهم يسمّونهم «اللاّهي Allâhy» وهم منبثون في القرى المجاورة لولاية الموصل. ومن هذه القرى «عمركان» و«تبراخ زيارة» و «تل عاكوب (يعقوب)» و«بشبيتا» وغيرها. ومن هؤلاء من هم منتشرون في ايران وبالأخص في القرى المتاخمة للبلاد العثمانيّة، وأصل نشأتهم من البلاد الفارسيّة.

٢- لغّتهم:

ان لغّتهم وان كانت مزيجاً من اللغات المعروفة في تلك الاصقاع أي الفارسيّة والكرديّة والتركيّة. الاّ انّها لا تشبه بشيء لغّة الصارليّة وان كانت هذه أيضاً مركّبة من نفس هذه اللغات الثلاث كما مرّبك. والباجوران الموجودون في البلاد العثمانيّة يحسنون التكلّم أيضاً بعربيّة تلك الديار.

٣- دينهم وبعض من شعائرهم:

قد علمت ان لهم ديناً خاصّاً بهم لا يدين به غيرهم وهم

يسمّونه «اللاهي» ولباب معتقده انّهم يوّحدون الله ويحبّون الأنبياء الاّ انّهم يعظّمون اسماعيل تعظيماً دونه تعظيم سائر الأنبياء ويستحلون شرب المسكّرات حتى ان أئمّة مذهبهم لا يستكفون منها. ورؤساءهم كثيرون وبكل رئيس منوطة عناية ست أسر أو سبع منها تجري عليه أرزاقه. ولا يحق له أن يسترزق من العيال التي ليست تحت رعايته.

والصوم عندهم حرام وهم لا يعرفون الصلاة أبداً. الاّ ان لهم حفلة دينيّة غريبة في بابها تجري في بعض أعيادهم. وهي انّه يوم يزور فيه الرئيس رعيّته يعمد الرجل إلى سلق سبع بيضات من البيض الغريض ابن يومه. ثمّ تجمع بيوض جميع تلك البيوت وتجعل في الدار التي ينزل فيها الرئيس فيأخذ هذا بتقشير البيض واحدة واحدة وبعد ذلك يخذعل بسكين كل واحدة منها سبع خذاعيل ويجعلها في وعاء واحد ثمّ يشرب الحضور مسكراً بعد ذلك يصلّي الرئيس على البيض وهي الصلاة الوحيدة الموجودة عندهم ثمّ يقول ما معناه «هذا البيض هو قربان اسماعيل فلا يجسر الواحد بينهم ان يدنومنه ويتناول شيئاً من ذلك ما لم يقرّ جهاراً بالإثم الذي اجترحه وبالدنايا والخطايا التي ارتكبها» فحينئذٍ يعترف كل واحد من الجلوس بالخطيئة التي ركب مطيتها من سرقة وقتل وزنى وحنث وتجديف وكفر... الخ وبعد ذلك يتقدمون إلى تناول الطعام.

ومن فرائض دينهم ندب الحسين في أيام العاشوراء وفي بدئ تلك الأيام يأخذون عدّة أولاد يجرحونهم بمدية فوق المرفق

من الجانب الايسر ويجولون بهم في البيوت ليتذكّروا احزان الحسين وأوجاعه ثم يصرف السكن هؤلاء بلحظة مهما كانت وبالأخص ينفحونهم بشيء من الحبوب والقطاني فيأتي بها هؤلاء إلى بيت معلوم، وفي النّهار التاسع تطبخ معاً جميع تلك الأطعمة ويسمّون من هذا الطبخ «ششا» فيوّزعون منه على جميع الدور المتمسّكين بعروة دينهم.

والطلاق عندهم جائز كما ان الأضرار (أي تعدد الزوجات) عندهم جار.

أمّا كتابهم الديني فليس له ذكر بين النّاس.

٤- صناعتهم:

لا مهنة لهم سوى الزرع وتربية الضرع على حد ما يفعل الصارلية المتقدّم ذكرهم.

٣- الشبك (Les Chabacs)

١- تعريفهم وموطنهم:

قد جاء الشبك استطراداً (في المشرق ٢:٣٩٥) في (الحاشية في الكلام عن اليزيديّة) وهم جيل من الناس من عنصر كردي لا يعرف لهم دين خصوصي، وهم منبثّون في قرى عديدة منها «علي رش» و«ينكيجا» و«خزنة» و«تلارة» وقرى اخرى عديدة في أطراف جبل سنجار ومنهم من هم منتشرون في بلاد ايران على تخوم البلاد العثمانيّة.

٢- لغّتهم:

تختلف لغتا الجيلين المذكورين، وان كانت هي أيضاً خليط من الكردية والفارسيّة والتركيّة، ويعرف اصحابها أيضاً اللغة العربيّة.

٣- ديانتهم وعوائدهم:

يوحدون الله ويحبّون عليّاً محبّة عظيمة، ويسمّونه «علي رش» ولا يعرفون صوماً ولا صلاة، بل يكرهون من كان يفعل ذلك كل الكراهيّة، وفي أغلب الأحيان يشاركون اليزيديّة في بعض حفلاتهم الدينيّة وفي زيارة مزاراتهم (راجع المشرق ٢:٣٩٥). ولهم عادة دينيّة قبيحة منكرة وهي انّهم يجتمعون في ليلة يعيّنها

الرئيس في كل سنة عند مدخل مغارة عظيمة سريّة يحيونها في الأكل والشرب والقصف واللهو تعرف عندهم «بليلة الكشفة» كما سمّاها الصارلية ويختمونها بارتكاب أشنع المنكرات. ويحضر تلك السنة الذكور والإناث من صغار وكبار (راجع أيضاً المشرق (٧٣٢:٢) وكتاب الفاضل فيتال كينه، ص ٧٧).

ومن عوائدهم ان الرجال منهم إذا تناولوا الطعام يقبضون باليد اليسرى على شواربهم ليرفعوها لكي لا تتلوث بالطعام وباليد اليمنى يأكلون ولا يجوز لهم البتة حلق شواربهم أو لحاهم. وجميع الملل تكره الشبك. وقد اصطلح المسلمون في تلك الديار على تسميتهم بالعوج جمع أعوج لاعوجاج مذهبهم وإذا خاطبوا الواحد منهم نادوه: يا أعوج.

٤ـ صناعاتهم:

الفلاحة، وتربية المواشي

عن مجلّة المشرق البيروتيّة ٥ (١٩٠٢)
ص ٥٧٧ـ٥٨٢

الكاكائية

من هم الكاكائيون، وما هي أصول مذهبهم، وهل تدل التسميّة على بقايا جماعة الفتوة وتنظيمها الإجتماعي القديم، الذي شجّعه خلفاء عبّاسيّون متأخرون؟ أم هم قبيلة كردية مسلمة تأثّرت بالأديان الأخرى، فظهرت لديها تعاليم مزدوجة، وعرفوا في مناطق أخرى بأهل الحق.

يفاجئ الباحث في تاريخ الكاكائية بكثرة الروايات المتناقضة، والغالب منها كما ذكرنا، ورد عن طريق السماع، ساعد حذر الكاكائيين من الغرباء أن ينقلوا للمؤرخ، الذي جاب الجبال بحثاً عن تاريخهم وحقيقتهم حكايات غامضة، يلعب فيها الرمز دوراً كبيراً، وما ان يحصل على معلومة حتى تأتي أخرى تلغيها.

وجد بعض الباحثين في تاريخ الكاكائيّة صلة بين الكلمة الكردية كاكا (الأخ الأكبر) وتنظيم الفتوة المعروفة بالأخوّة التي شجّعها الخليفة الناصر لدين الله[82] (ت٦٢٢ هـ/ ١٢٢٥ م) فوضعها

---

82 الناصر لدين الله (١١٨٠-١٢٥٥) الخليفة العباسي الرابع والثلاثين. قضى على نفوذ قادة الجيش في بغداد. بلغت جيوشه خوسزتان عام ١١٩٦ واذربيجان عام ١٢١٤. شيّد باب الطلسم في بغداد. في عهده بدأ الزخف المغولي. اشتهر بحزمه.

تحت إشرافه العام سنة (٦٠٤ هـ / ١٢٠٧ م). بعد ان جعل من نفسه الغت أو الأخ الأول، ثمّ تقلّد رئاستها خلفاؤه، فيذكر حفيده المستنصر (ت٦٤٠ هـ / ١٢٤٢ م).

«وقد لبس سروال الفتّوة بمرقد علي بن أبي طالب بالنجف» وبهذا المعنى قصد المستشرق الروسي (فلاديمير مينورسكي) الكاكائية. فبينما قاله حول العلي الهية: «من طريف عاداتهم المؤخاة[83]».

والأخ أو الفتى كان صاحب هيمنة وشهامة ونخوة يردع الظلم والاعتداء على ابناء حيّه أو عشيرته. وعلي بن أبي طالب عند الآخيين، وبالتالي الكاكائيين مثال الفتى أو الكاكا الأول، وكان هذا في كل مراحل تطور الفتوة، وتاريخيّاً للكاكائيّة صلة بالقول المشهور «لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى ال اّ علي» وتاريخ هذه العبارة يعود إلى معركة أحد، السنة الثالثة للهجرة يوم انتصرت قريش على المسلمين، وكان خالد بن الوليد، الذي لقّبه الرسول فيما بعد بسيف الله، على ميمنة المشركين، وحدث ان جماعة من قريش هاجمت الرسول وكادت تقتله، فقال لعلي: «احمل عليهم» ففرقهم وردّهم، وتكرر المشهد مرتين، فقال جبرائيل: «يا رسول الله هذه المؤاخاة! فقال الرسول: «انّه مني وأنا منه» فتمنّى جبرائيل ان يكون منهما.

---

83 مينورسكي، الاكراد، ملاحظات وانطباعات، ص ٨١.

يفسّر الأب الكرملي (ت ١٩٤٧ م) الكاكائيّة، كمصطلح وكيان انّها: «لفظة كاكائي ليست اسم قبيلة، أو أمّة أو قوم، أو بلد، انّما هي لفظة كردية فارسيّة الأصل، معناها الأخ، فقالوا في واحدها العائد إلى هذه الجمعية السريّة، كاكايا، على الطريقة الأراميّة، ومنهم من يلفظها كاكائي، مفرداً وجمعاً، فانظر كيف جمعوا في لفظة واحدة الفارسية والآرامية. وهم يريدون بذلك الأخ في المذهب[84]».

والكرملي، حسب النص المذكور، لا يعني ان للكائيّة صلة بالفتوة أو الأخيّة المقصودة، مثلما لا يمكن ربط تسمية أحزاب أخوان المسلمين بالأخيّة، وهذا ينسحب أيضاً على التنظيمات والأحزاب التي يتعامل أفرادها بكلمة أخ، إشارة عمق العلاقة.

وفي رأي آخر، ورد في تقرير الاستخبارات البريطانيّة ان «الكاكائيّة، بالأصل طريقة صوفيّة، دروشة، سواء من ناحية التنظيم أو المنشأ التاريخي»[85]، ومؤسسها حسب التقرير هو سلطان اسحق بن عيسى البرزنجي»[86].

وتبقى لفظة أخ، التي عُرفت بها الكاكائيّة، غامضة بين الكاكائيين. لذا شاعت حولها حكاية فسروا فيها سبب التسمية، تؤكد فضل السلطان اسحق أو اسرته في تأسيس الفرقة جاء في الحكاية:

84 الكاكائيية، مجلة لغة العرب، نيسان ١٩٢٨.

85 خورشيد، العشائر الكردية، ص ٨٩.

86 المصدر السابق

«ان أحد رؤسائها المؤسسين لها كان من السادة البرزنجية في انحاء السليمانيّة فبنى تكية في قرية برزنجة وضعت لسقفها العمد، ولكنّها قصرت عن جدار البناء فقال لأخيه: مدّها ايها الأخ، كاكا، ومن ثمّ مدّها فطال الخشب كرامة، وصاروا يدعون بالكاكائيّة لهذه الحادثة[87]».

ينسب عباس العزاوي الكاكائية إلى طريقة صوفيّة هي السهروردية، ودليله على ذلك وجود قبر ابراهيم بن السيّد أحمد، جد رؤساء الكاكائيّة بمقبرة الشيخ عمر السهروردي ببغداد، فحسب قوله: «وهذا يشير إلى العلاقة بهذه الطريقة[88]». وبناء على ما توصّل اليه من علاقة بالصوفيّة، اخرج العزاوي الكاكائية من العلي الهية. وبهذا تخلّى أيضاً عن إشارته إلى وجود ادلّة تؤكد العلاقة بين الكاكائية والفتوة أو الأخية، ومنها وجود محلّة بكركوك تدعى بأخي حسين، أو وجود أشخاص يدعون بأخي فلان، أو بكلك، مثل مبارز الدين كلك، وحسام الدين كلك[89]. غير ان كلمة كاكا، كما سلفت الإشارة تعني الأخ الأكبر الذي له اعتبار بين افراد الاسرة، يتميّز عن سائر اخوانه[90].

87 الكاكائية في التاريخ ص ٤.

88 المصدر نفسه ص ٥

89 ذات المصدر ص ٥.

90 الكاكائية، مجلة لغة العرب، نيسان ١٩٢٨

وبالتالي تصبح كلمة أخ أو كلمة كاك عامّة، غير ملزمة لملّة أو طريقة.

قال الكرملي، مستنتجاً من شهادة كاكائي صبأ عن ملّته، تعزّف عليه العام ١٨٩٦ م ببغداد، يدعى بسعو بن جمّو، ان الكاكائية: «طلئفة خفيّة، المعتقد والمذهب، مبثوثة في كركوك وانحائها، ولهذا لم يذكر وجودهم أحد من الكتبة والمؤرخين، لأنّهم يخفون رأيهم الديني على كل إنسان، يتظاهرون بالإسلام في موضع يكون أكثر سكّانه مسلمين، ويتظاهرون بالنصرانيّة، في المواطن التي يكثر فيها المسيحيّون[91]».

ويتظاهرون بالإسلام مع انّم لا يعتقدون بنبوّة محمّد ولا بالصحابة دائمة المسلمين، ولا يؤمنون بالقرآن[92].

ويواصل الكرملي كشف عقائد الكاكائيّة القريبة إلى المسيحيّة، ذاكراً عقيدتهم بالاله الواحد، الذي يظهر في ثلاثة مظاهر، كبير ووسيط وصغير، وان الروح القدس خلق مريم العذراء بواسطة جبرائيل، ويساعد هؤلاء أربعة وزراء والوزراء مسيطرون عددهم سبعة، وللمسيطرين منفذون وعددهم اثنا عشر». واتّفقوا جميعاً على ان يرسلوا إلى العالم الأدنى رجلاً زودوه بجميع القوى العقلية والجسديّة، وهو موسى، وهم يعظّمونه

---

91 المصدر نفسه.

92 ذات المصدر.

أشد التعظيم، ويحلفون به، ويضعونه فوق جميع الأنبياء، ويعتقدون بأنّه المسيح[93]».

أكّد المحامي عباس العزاوي اثناء تجواله بالمنطقة، إسلاميّة عقائد الكاكائيّة مع وجود الغلوّ فيها، على حد زعمه المتّصل بالحسين بن منصور الحلاج (ت ٣٠٩هـ/٩٢١م) وانّهم يحرّمون الخمر، ويحترمون يومي الاثنين والجمعة، ويقرأون الادّعية الخاصة فيهم ويقرّون الطلاق، ولكن برضا الرجل والمرأة فهو عندهم كعقد الزواج، لا يجوز الاّ برضا الاثنين، لكنّهم لا يبيحون تعدد الزوجات وان لا يتزوّج الشيخ ابنة مريده، ولا يتزوّج المريد ابنة شيخه[94]. خلا ذلك ردّ رئيس الكاكائيّة على سؤال عباس العزاوي حول حبهم لعلي، بسؤال أحرج الأخير، قال: «وانتم هل تكرهونه؟ ثمّ ردّ قائلاً حول ما يشاع عنهم: «ليس لنا من هذا النوع أكثر من اننا مسلمون نؤمن بالقرآن[95]».

ومن أهم كتب الكاكائيّة المشتركة مع أهل الحق والعلي الهيين «خطبة بيان» المنسوبة لعلي بن أبي طالب. وهي سبعون كلمة أوّلها: الحمد لله بديع السماوات وفاطرها... الخ، ولها شرح بالتركية في مجلد[96]». وقال عنها أغا بزرك الطهراني: «من

---

93 المصدر نفسه.

94 الكاكائية في التّاريخ ص ٧٠-٧٢

95 المصدر نفسه، ص ٢٩.

96 حاجي خليفة، كشف الظنون في أسامي الكتب والفنون ج١: ٥٤٩.

الخطب المشهورة نسبتها إلى أمير المؤمنين (ع) ولها نسخ مختلفة بالزيادة أو النقصان... لم يذكرها الرضي في نهج البلاغة، وكذا لم يذكرها ابن شهر آشوب في المناقب في عداد خطبة المشهورة[97]».

ومن كتبهم أيضاً «جاودان عرفي» وهو كتاب الطريقة الحروفية، وكتاب «حياة»، و«التوحيد» لسلمان أفندي الكاتبي، و«سرانجم» الذي طبعه مينورسكي باسم «سره نجام» قبل عام ١٩١٤ وكان مدوّناً بالكرديّة[98].

ويضاف إلى هذه الكتب دواوين شعرية، تتلى كأدعية وابتهالات.

***

تواجدهم

حدّد تقرير الاستخبارات البريطانيّة، حدود تواجد الكاكائيّة كالآتي:

شمالاً بارون داغ والتلال المجاورة، جنوباً الطريق الرئيسي الواصل بين تازة وطوزخرماتو، وشرقاً منطقة حويجة، وغرباً السهل الممتد شمال جبال حمرين، وقره داغ، ويصحح مترجم التقرير حدود الكاكائيّة بالآتي:

97 الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة ٧: ص ٢٠٠-٢٠١.

98 الأكراد، ملاحظات وانطباعات، ص ٨٣

جنوباً السهل الممتد شمال حمرين، وقره علي داغ، وشرقاً الطريق الرئيسي بين تازة وطوزخرماتو، وغرباً منطقة حويجة[99].

واشار التقرير إلى موطنهم الرئيس بالعراق بناحية طاووق وكركوك، وبين خانقين وقصر شيرين على الحدود العراقية الايرانيّة، وعلى ضفاف الزاب الكبير، ويعرفون هناك بالصارلية، كما لهم تواجد ملحوظ يتلعفر[100].

وعدّهم الكرملي العام ١٩٢٨ بحوالي عشرين الف نسمة بكركوك لهم ستّون بيتاً، وعلى نهر الزاب ٤٨٠ بيتاً، وفي خانقين نحو ٥٦٠ بيتاً.

***

مزاراتهم

أما مزاراتهم، التي يشترك فيها أغلب العلي الهيين بما فيهم أهل الحق هي:

مزار سلطان اسحق في جبل هورمان

مزار سيد ابراهيم بين مقبرة الشيخ عمر والباب الأوسط ببغداد ودكان داوود، وصاحب المزار المذكور كان خليفة السلطان اسحق، يقع بين سربيل وباي طاق في كهف جبل.

---

99 العشائر الكردية، ص ٩٠

100 المصدر نفسه ص ٨٩

ومزار زين عابدين في داقوق، واصل محله كنيسة.

ومزار أحمد بكركوك بمحلة المصلى.

ومزار عمر مندان بكفري، وهو غير عمر مندان الواقع في طريق كركوك-أربيل[101].

101 ذات المصدر ص ٨٩

... من كتاب المناقب (البويوروق)

-١-

أمّا بعد فلمّا أراد سرور الكائنات وخلاصة الموجودات شفيع الأمة محمد ﷺ أن ينتقل من دار البقاء كما تفضّل في حديثه فقال «المؤمنون لا يموتون بل ينتقلون من دار الفناء إلى دار البقاء» طلب حضور أسد الله الغالب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فلمّا حضر قال له يا علي لقد قرب الوصول إلى قرب الحق وانّي ذاهب إلى الآخرة فأوصيك ببضع وصايا لتكون في الدارين عزيزاً ومحترماً وإن جبرائيل أمين رب العالمين نزل اليّ بالوحي إن الشريعة للانبياء والطريقة للاولياء والمعرفة سلوك والحقيقة وصول إلى المقام مع الحق.

-٢-

وهذه النصائح يجب أن تبلغ إلى أمّتنا الخاصة من المؤمنين المتصاونين ليقفوا على سرّ الأنبياء ويتفهمونه لكي يكون المؤمنون الراسخون في العقيدة إلى أن يقوم قائم آل رسول الله وحتى يوم المحشر متفيئين علمنا غير محرومين من شفاعتنا.

-٣-

يا علي إن هذه الوصايا يلقن بها أولئك الذين يطلبون الحق ويحبون الأولياء لينهجوا طريق الأولياء ويسلكوه ويعملوا بما يقتضي. كذلك من يصغي الى هذه الوصايا ويعمل بموجبها فذلك هو ولي وأنا مسرور راض عنه غداً أريه جمال الحق ومن يسمع الوصايا ولا يتمسّك بها فانّه عدوي.

-٤-

وقد سلمت هذه الوصية إلى أمير المؤمنين علي عليه السلام وفيها النصائح العظيمة وطبق قول الرسول: أنا مدينة العلم وعلي بابها. وأنا وعلي من نور واحد فان أسد الله الغالب الامام علياً عليه السلام تقبّل هذه النصائح وفي حضوره الشريف مرّغ وجهه في الأرض وكتب في حضرة الرسالة تلك الوصية فصار كتاباً جليلاً وكان الإمام يقرأ فيه ويعمل بموجبه ومنه صار إلى الحسن فالحسين فزين العابدين.

-٥-

وهذه الوصية انتقلت من أولاد الرسول سلسلة بعد سلسلة إلى أن وصلت إلى يد الشيخ السيد صفي الدين قدس الله سرّه

العزيز وكان يقرأها ويعمل بها وكان يلقن بها مريديه وطلابه ودراويشه ليرشدهم إلى محبّة الأولياء. فهذه مناقب الأولياء وقد قال الشيخ العاقل الكامل الواصل بالتحقيق إلى قرب الحق خليفة الله الشيخ صفي الدين أيما طالب يسمع هذه الوصايا ويفقه معانيها فانّه سيكون في أمن وأمان من مخاوف الدنيا والآخرة ويحشر معنا يوم القيامة، ومن يقرأ هذه الوصايا وتصدف أذنه عن سماعها وعينه وقلبه عن معناها فالله ورسوله والأنبياء والأولساء والملائكة براء منه.

-٤٢-

انتهى البحث عن الأوجه السبعة فلنبحث عن الاثني عشر شرطاً، إن الاثني عشر هي كما يلي: السخاوة، السعادة، الغيرة، العبرة، الحرمة، الصحبة، المروة، الشفقة، الافرار، الايثار، التولي، التبري...

«السخاوة»: أن تطعم وتطعم وأن لا تمن على من تطعمه.

«السعادة»: أن لا تمنع نفسك عما أنت قادر عليه.

«الغيرة»: أن تتغلب على ابليس عليه اللعنة وأن تسعى ليلاً ونهاراً في سبيل دينك وتجاهد في سبيل عقيدتك وبالأخير أن لا تكون مغلوباً للشيطان.

«العبرة»: أن يفتح عينه وقلبه وينظر إلى الحكمة فيعتبر.

«الحرمة»: أن يرعى أولئك الذين هم تحت رعايته وأن يكلّمهم بالقول الليّن ويعاملهم بالحسنى.

«الصحبة»: أن لا يكون فلت اللسان وإذا أراد أن يتكلّم في المجلس فكّر أولاً ثمّ تكلّم.

«المروة»: أن يعفو عن عدوه وهو قادر على قهره.

«الشفقة»: أن يرحم الضعفاء والمساكين خاصة رفقاء طريقته فعليه أن يقضي حاجاتهم.

«الاقرار»: أن لا يخلف الوعد، وأن يبذل نفسه في سبيل أحبّائه.

«الايثار»: أن يتخلّى عن روحه في سبيل أهل طريقته.

«التولّي»: أن يتولّى أهل البيت وأن يكون تابعاً قلباً ولساناً للأئمّة الاثني عشر.

«التبرّي»: أن ينفر من أعداء محمد وعلي وأن يلعن الملعونين من أعداء آل البيت.

المصادر والمراجع

١) **بطر س البستاني** محيط المحيط، مكتبة لبنان، ١٩٧٧.

٢) **لويس شيخو** المنجد في اللغة

٣) **المحامي عباس العزاوي** تاريخ العراق بين احتلالين، مطبعة التفيض الاهلية، بغداد

٤) **كامل مصطفى الشيبي** الفكر الشيعي والنزعات الصوفيّة حتّى مطلع القرن الثاني الهجري، مكتبة النهضة، بغداد ١٩٦٦.

٥) **أحمد حامد الصرّاف** الشبك، مطبعة المعارف، بغداد ١٩٥٤.

٦) **رشيد الخيون** الأديان والمذاهب بالعراق، دار الجمل، ٢٠٠٣

٧) **تامر عبد الحسن العامري** موسوعة العشائر العراقية، الجزء السابع، الطبعة الأولى، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٤٤.

٨) **أحمد شوكت** الشبك الكورد المنسيون، وزارة الثقافة باقليم كردستان، السليمانيّة ٢٠٠٤.

٩) **سي جي ادموندز** كرد وعرب وترك، ترجمة جرجس فتح الله، مطبعة التايمس، بغداد، ١٩٧١.

١٠) **عبد المنعم الغلامي** بقايا الفرق الباطنية في الموصل، ١٩٣٩.

١١) **حسن لعمري** اللقالق، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٨٠.

١٢) **سعيد الديوه جي** تاريخ الموصل، الجزء الأول، الموصل ١٩٨٢.

١٣) **القس سليمان الصائغ** تاريخ الموصل، الجزء الأول، القاهرة، ١٩٢٧.

١٤) **زهير كاظم عبود** لمحات عن الشبك، دار الرافد، لندن ٢٠٠٠.

١٥) **الحموي** معجم البلدان، الجزء الأول وباقي الأجزاء...

١٦) **زهير كاظم عبود** الشبك في العراق. المؤسسة العربية للدراسات والنشر، والطبعة الرابعة ٢٠٠٩.

١٧) **كوركيس عوّاد ويعقوب سركيس** أصول أسماء مدن وقرى عراقية، دار الورّاق لبنان- ٢٠٠٩.

المجلاّت:

١- مجلّة المجمع العلمي العراقي

٢- مجلّة المشرق البروتيّة

٣- د. داود الجبلي، رسالة منشورة في كتاب أحمد حامد الصرّاف

٤- الأب انستاس الكرملي، رسالة منشورة في كتاب أحمد حامد الصرّاف

٥- المجلّة البطريركيّة- دمشق، عدّة أعداد.

فهرس الكتاب